د. محمد عبد المنعم خفاجى

صفحات من الفكر المصرى العربى

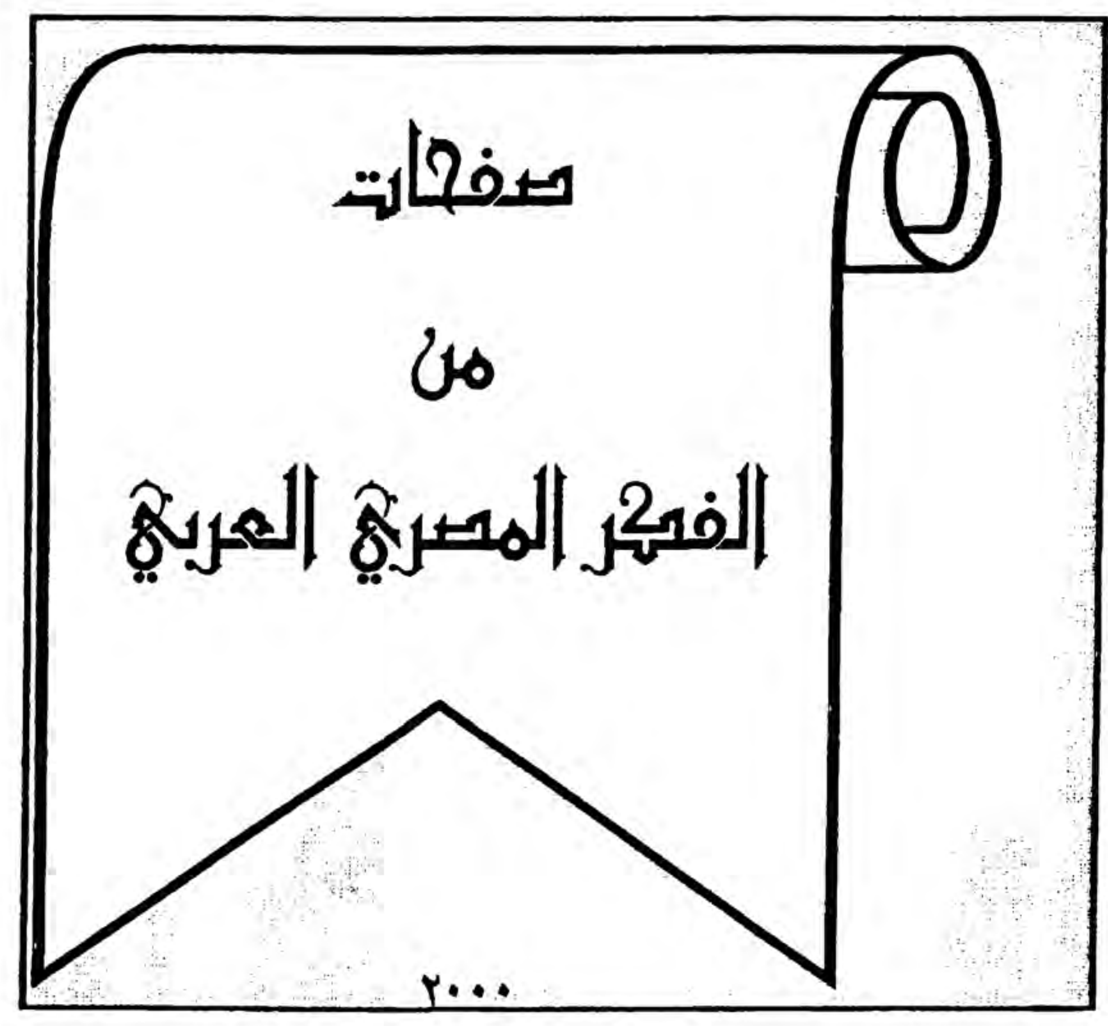


مكتبة الأنجلو المصرية


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET



د/ محمد عبد المنعم خفاجي



مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ ش محمد فريد

إسم الكتاب : صفحات من الفكر المصرى العربى

إسم المؤلف : د. محمد عبد المنعم خفاجى

الجمع الفنى والتنسيق : ميجا سنتر

طباعة : محمد عبد الكريم حسان

رقم الإيداع : 4447 لسنة 2000

الترقيم الدولى : I-S-B-N 977-05-1738-0

بسم الله الرحمن الرحيم



تصدير

-١-

الفكر العربى الذي تشكله جميع القوي الفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية فى العالم العربى ، فكربنّاءمتجدد يحمل رسالة الثقافة فى داخل النطاق العربى ، بل فى انحاء العالم كله .

ومصر وشقيقاتها العربيات حملت فى القديم رسالة الثقافة والادب ، ونشرت هذه الرسالة فى العالم كله ، وهى اليوم تتطلع الى العمل لأداء هذه الرسالة من جديد

ومصر الوطن العربى الكبير ، هى الملاذ الآمن لكل عربى فى المشرق والمغرب على السواء ، ودورها فى المنطقة العربية من قبل ومن بعد هو الدور الاساسى علي مرور الأيام ، ويعزز من هذا الدور وحدة الدين والدم واللسان والتقاليد، ووحدة الآمال والآلام ، ووحدة التاريخ، ووحدة المصير ، والجهد المصرى الآدبى والثقافى هو مهمة العمل الوطنى العربي الصادق فى

الماضى والمستقبل .

مصر طول عصور التاريخ هى رائدة الثقافة والحضارة والعلوم والآداب فى المنطقة العربية . ولم يغب عنا أن مجال الآداب رحب يتسع للأعمال الادبية ابداعا، وللدراسات الأدبية بعموم مطلق ، فان الدراسات تتسع لعلوم العربية لسان قوميتنا ولغة كتاب ديننا ومدونات تاريخنا ، والمعبرة عن شخصييتنا بكل ميراثها الفكرى والادبى ، فيدخل فيها مدونات تاريخنا العربى من عصر البعث والفتوح . . وتشتمل هذه الآداب على الانواع والفنون الادبية ، وخاصة الشعر والنثر .

اننا نريد ارهاف الوعى بما يحمل المفكرون والادباء من أمانة صعبة ، يصلون بها بين شعوب امتنا ويسهرون على تقوية حرمات الجيرة وأواصر المودة فى القربى ، فمثل ذلك الدور الجليل اضطلع به مفكرونا وأدباؤنا الكبار فى عصر الأستعمار ، اذ تحدوا ذرائع التفرقة والتمزق بين الشعوب العربية ، يصلون ما تمزق من شملها . وغير مجهول من أدباء مصر ، من الشعراء والكتاب : ابن وكيع التنيسى صاحب " المنصف" " والقاضى الفاضل ذو

الرباستين الوزير صاحب ديوان الإنشاء بمصر وشيخ وأمير البيان فى عصره ، وابن سناء الملك صاحب الديوان البديع ، «الموشحات »، ومجد الملك جعفر بن شمس الخلافة الشاعر المصرى الأديب ، وابن النبيه ، احد شعراء عصره المشاهير ، وابن مطروح جمال الدين الشاعر المجيد ، والبهاء زهير المصري صاحب الديوان المشهور ، وابو الحسين الجزار الاديب الشاعر جمال الدين المصرى، والشرف البوصيري الدلاصى المولد صاحب البردة والهمزية ، وعبد الرحيم البرعى الشاعر صاحب المواجد الصوفية، وابن نباتة ابو بكر المصرى شاعرنا المشهور ، والشهاب المنصورى الاديب البارع ، ومن بعده من الادباء المصريين الاعلام ، المويلحى والمنفلوطى وحفنى ناصف والمرصفى وباحثة البادية ملك حفنى ناصف ،وآل تيمور ؛ واعلام طبقتهم من شعراء مصر الكبار : محمود سامى البارودى واسماعيل صبرى ، وشعراء مدرسة أبولو، ومدرسة الديوان وحافظ ابراهيم واحمد شوقى أمير الشعراء. . وقد أخذت مصر مكانتها القيادية فى الوطن العربى والعالم الاسلامى بمن قدمت على توالى الاجيال من علماء العربية

والاسلام ، وقد بدأت هذه المكانه من زمن مبكر وقبل سائر أقطار الشمال الافريقى والمغرب الاقصى والاندلس، فسبقت كذلك الى التعرب ، ونبغ فيها من القرنين الثانى والثالث اعلام مصريون من اعيان الطبقات الاولى من المحدثين والفقهاء واللغويين والنحاة والاخباريين والرواة . منهم على سبيل المثال لا الحصر ، عبد الملك بن هشام المصرى اللغوى راوى السيرة النبوية عن ابن اسحاق ، وقد توفى عام ٢١٨ هـ ، وابن هشام النحوى صاحب المغنى وغيره .

ويشهد التاريخ الادبى لمصر اكرامها وفادة من نزحوا اليها فطاب لهم المقام بها وكانت لهم خير منزل ومدرسة ودار ، وأتاحت لهم من ذيوع الصيت ما جعلها مضرب المثل فى اعلاء ذكر الوافدين عليها من علماء العربية وادبائها . ومنهم على سبيل المثال لا الحصر ، جمال الدين ابن مكرم الافريقى صاحب (لسان العرب) والرضى الشاطبى ، ولد ببلنسية وتصدر بالقاهرة فكان امام عصره فى اللغة والقراءات ، وابو حيان اثير الدين الغرناطى ثم المصرى، نحوي عصره ولغويه ومقرئه ومفسره ، والجلال

القزوينى ، والتاج التبريزي من علمـاء البلاغة . وممن نبغوا بمصر من الشعراء الوافـدين عليها ، كثيـر عزة ونصيب بن رياح : من فحـول شعراء الدولة الاموية ، وابو نواس ، وابو تمام من اشـهر شـعراء العـصر العـباسى الاول ، وابـو العبـاس الناشئ الشاعـر المتكلم، المتوفى سنة ٢٩٣ ه - وكشاجم ابو النصر الشاعر المشهور - ومن شعره فى مصر البيت السائر :

قد كان شوقى الى مصر يؤرقنى فالآن عدت وعادت مصر لى دارا

وتميم بن المعز من كـبار شعـراء دولة الفاطميين فى مـصر . والمتنبى ، شـاعر الـزمان ، اقـام بمصر أربـع سنوات عند كافـور الاخشيدى ، وابن حجة الحموى ، نزيل القاهرة ، ومن المؤرخين المسبحى ، والأمـير المختار عز الدين الحـرانى وله كتاب فى تاريخ مصر ، وابن سـعيد الغرناطى الاديب الاخبـارى الذى اقام بمصر زمنا ولقى ادباءها ، وابن خـلدون الذى وفد على مـصـر فولتـه منصب قاضى القـضاة المالكية ، وراجت (مـقدمته) المشـهورة فى علم الأجتماع .

والعهد غير بعيد بمن نزحوا الى مصر من أدباء سورية ولبنان

فى العصر الحديث كالشاعر الشهير خليل مطران والاديبة النابغة مى زيادة والكتاب الباحثين بشر فارس وجورجى زيدان مؤسس دار الهلال ويعقوب صروف مؤسس المقتطف ، وامثالهم ممن هيأت لهم مصر مع طيب المنزل وبعد الصيت ، المشاركة فى تاريخ الادب العربى الحديث

وفى مصر بدأت حركة احياء الشعر العربى على يد البارودى وشوقى وحافظ وغيرهم ، وكتب شوقى المسرح الشعرى ، وبدأت كتابة القصة الحديثة على يد محمد حسين هيكل ومحمود تيمور وتوفيق الحكيم وغيرهم ، وبدأت الدراسات التراثية الاسلامية الحديثة على يد محمد حسين هيكل وطه حسين والعقاد واحمد امين والخولى وغيرهم ، وقام المسرح المصرى على يدى يوسف وهبى وزكى طليمات ونجيب الريحانى واحمد علام وغيرهم . كما ازدهرت الموسيقى العربية والغناء العربى على يدى سيد درويش وكوكب الشرق ام كلثوم ومحمد عبد الوهاب وسواهم . وبدأت كذلك السينما المصرية العربية على يدى الرواد الأوائل من المصريين .

ـ٢ـ

أو لاشك فـى أن مما يعـــزز هـذه الريادة ، و ذلـك الدور الفكرى العربى لمصر : تعاون الهيئات الثقافية والأدبية فى الارتفاع بالحركة الثـقافية العربية وبالأدباء ، واللغـة العربية ، بما فى ذلك من مختلف الجامـعات والمعاهد والمراكز الثقافيـة والمجامع العلمية واللغوية ووزارات الثقافةفى العالم العربى ومختلف الهيئات الدينية والاجتـماعيـة والقومـية ، وإقامـة المؤتمرات والمهرجـانات الأدبية والشعرية على نمط ما كان يقع فى الستينيات والسبعينيات باشتراك المجلس الاعلى للفنون والاداب والادارة الثقافية فى الجامعة العربية من قبل فى العديد من هذا النشاط الادبى المعروف.

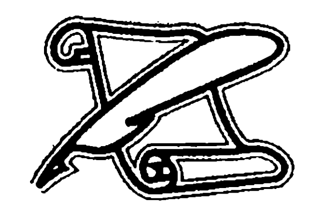
وقـد بدأت مصـر هذة المؤتمرات منذ سنة ١٩٢٧ حين عقـد بدار الاوبرا بالقـاهرة برياسة الزعـيم الكبـير سـعد زغلول مـؤتمر مبايعة الشعراء العرب للشاعر احـمد شوقى اميرا للشعر العربى ، فكانوا بذلك اول مؤتمر شعـبى عربى يمثل الوحدة العربيـة ويتخذ اول خطوة فيها ، وبينمـا كانت مصر فى الخمسينيـات والستينيات تعقد مهـرجانات الشعر ومؤتمرات الادباء فى مصـر وفى مختلف العواصم العربية ، نجد ان مـصر تراجعت عن عقد هذه المؤتمرات الا لماما ، واستـمـرت وازدهرت هذه المؤتمرات فى البلاد العـربية المخـتلفة مـثل قـرطاج فى تونس وجـرش فى الاردن والمربد فى العـراق ، واصيـلة فى المغرب والجـنادرية فى السـعودية ، وقـد

عقـدت رابطة الادب الحديث فى القاهرة مـؤتمرين باسم الفسطاط للشعر والنقد .

وفى الوقت الذى قفـزت فيه وسائل الاتصال قـفزات هائلة واستـعملت الاقـمار الصناعيـة وخاصـة القمر الصنـاعى الغربى «أرابســات» نجد البـرامج التليـفزيونيـة والاذاعـية المصـرية تعطى الصدارة للمواد الخـبرية بينما تتقـاصر العناية بالبرامج الثقـافية ، ويتراجع استعمال اللغة العربية الفصحى .

ومنذ انشاء جامعة الدول العربية فى اواسط الخمسينيات وقيام امانتها العامة ومنظماتها المتخصصة فى القاهرة كانت مصر صاحبة اليـد الطولى فى قيـادة النشـاط العربى السـياسى والاقـتصـادى والثقافى والادبى خاصة . وبعد الظروف الخطيرة فى العقد الاخير وتجميد عضوية مصر فى الجامعة ونقل المقر مؤقتا الى تونس ، ثم عودة الجامعة فى ظل ظروف اشد قسوة ، لوحظ ان مصر اعطت الاهتمـام الاول لعودة الامانة العامـة للجامعـة إلى القاهرة، ولم تحرص على اعادة منظـمة التربية والثقـافة والعلوم التى ظلت فى تونس مع ان غالبـية النشـاط الثقافى فـيها ، ويقـوى ذلك وجود معـهد الدراسات العـربية ومعـهد المخطوطات ، وكان واجـبا ان تحـرص مصـر على اعادة مـقر المنظمـة الى القاهرة . إن تعـاون مخـتلف وسائل الاعلام والصـحافة والجمـعيات الادبيـة ضرورة للرقى بالمستوى» الفكرى والثقافى والادبى العربى . . .مع ضرورة

الاهتـمام بالكتـاب مـضمـونا وشكلا ونشـرا له في كل مكان ، وضرورة العناية بالتراث ، وبالبرامج الثقافـية فى الاذاعة المسموعة والمرئية ، ومضاعفة الجهد فى العمل من أجل ازدهار لغتنا وثقافتنا وادبنا .



الآدب العربى أدب عالمى

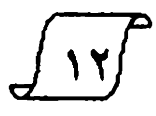
ـ ١ ـ

الثقافة العربية الاسلامية كانت أوربا فى العصور الوسطى تأخذ عنها ، وتتعلم على يديها ، وتغرف من بحرها العظيم (١).

وكانت حركة الترجمة من العربية تغذى هذا التأثير ؛ كما كانت كراسى اللغة العربية فى جامعات أوربا تعمل عملها في نفوذ الثقافة الاسلامية الى عقول الأوربيين . . وعوامل أخرى كثيرة وصلت بين العقل الأوربى والفكر العربى آنذاك بصلات وثيقة من اتصال الغرب بالشرق ، فى التبادل التجارى ، وفى الحروب الصليبية ، وفى صقلية والأندلس ، وفى الحروب المتصلة، إلى مراكز الترجمة من العربية فى طليطلة وغيرها . فضلا عن تأثير المخطوطات العربية وما فيها من زاد ثقافى كبير .

---

(١) دعا السيد وليم جونز مترجم المعلقات العربية الي الانجليزية (المتوفي عام ١٧٩٥) الشعراء الانجليز الي قراءة قصائد المعلقات العربية لتجديد شعرهم حوارا وموضوعات وخيالا . ومن ثم بدأ الشعراء الانجليز موجة جديدة في افتتاح قصائدهم ببكاء الاطلال .



والأدب يصاحب الثقافة أينما كانت . . وبسبب ذلك كله كان أدبنا العربى أدباً عالمياً طيلة العصور الوسطى وحتى أوائل العصر الحديث

والأدب الانجليزى الوسيط ، وهو جزء من التراث الادبى الأوربى ، مدين بالكثير من الاشكال الأدبية العربية . ويؤكد ساندز فى كتابه " القصص الشعرية الإنجليزية الوسيطة" تأثر أداب الرومانس بالعبقرية العربية وبالقصص العربية. وقد تسربت قصائد الشعر وبعض الاشكال والموضوعات فى الأدب الآندلسى الى أدب أوربا الوسيطة. و أصول الآدب الروائى الأوربى المعروف بزخارفه اللفظية البديعية وبموضوعاته المتصلة بالادب الساسانى ، أدب الاحتراف أو الكدية ، أو قل أدب المقامات العربية ، كلها تعود الى أصول عربية .

والعلاقة بين شعر الغزل العربى وشعر التروبادور البروفنسالى تتضح فى هذا التوافق فى الموضوعات والصور الآدبية ، وفى المفاهيم والعواطف واشكال الوزن ، والتقنيات الشعرية ، وقد تحدث عنها طويلا فون غرونبوم فى كتابه «إسهام العرب فى شعر

التـروبـادور » . ويبـرز أثر ابن زيدون وابن حـزم فى " طوق الحمامـة " واضـحا فى الـشعـرا الغنائى الأروبي ، ابتـداء من منتصف القـرن الثاني عشـر ، وهو العصر الذهبي لشـعراء الغناء كمـا انتشرت قـصائد الزجل الاندلسيـة المعروفة عند ابن قـزمان واضرابه ، ووجدت طريقها الـي الـشعر الرومانسى الصافي . . وأثر المعـري في دانتي في الكوميـديا الالهيـة ، وفى مبلتـون في الفردوس المفقود " مما أثبته العديد من الباحثين (١) .

-٢-

إذا كـانت صلة الاداب الاوربيـة بإبداع الادباء العـرب قـد اتقطعت في القـرون الثلاثة الاخيـرة قبل القـرن العشـرين ، فإن صلتها بالتـراث الادبي العربي ظل موصولا غـير مقطوع . ومنذ القرن العشرين ، وبتأثير الصلات المتبادلة بين الشرق والغرب عن شتـي الطرق ، من الاستـعمـار الي التبـادل السيـاسي والثقـافي والاقتـصادي ، الي الرحلات العلمـية الي اوربا ، الي الترجـمة لكثير من اثار المفكرين واعلام الادب في الغرب ،قوي الاحتكاك بين الادب العـربي والاداب الغربيـة ، فظهر ادب المقـال، وادب

(١) يقول م .م وات فى كتابه " «تأثير الإسلام على اوربا الوسيطة» "إن إغفال هذا التـأثير على التراث الأروبى وتجاهله كليا ادعاء كاذب .

الرواية والمسرحية والملحمة ، والشعر القصصي وأدب الطفل ، والخيال العلمي وادب القصة ،الخ، في ادبنا العربي ، وترجمت الوان كثيرة من ادبنا الي اللغات الغربية ، مما اخذ يؤثر في عودة انتقال ادبنا الي العالم ، وقرأ الغرب لطه حسين وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ وغيرهم الوانا من ادبهم . . . و اكدت نوبل محفوظ هذه الصلة القوية بين ادبنا والاداب العالمية . ولا شك ان هيمنة امريكا واوربا السياسية والعلمية والادبية ، اليوم ، مما يضاعف حركة التأثر والتأثير بين الادب العربي والغربي .

واذا كان بعض ادبائنا يقفون اليوم مبهورين بالفكر الاوربي الغربي ، وبالنظريات الادبية والنقدية في الاداب الاروبية ، مما لا نكاد نجد مثيلا لها في ادبنا ، فإن ذلك لا يقف أمام الثقة بجدارة أدبنا العربي ليصبح ادبا عالميا ، وادباؤنا مشغولون بالبنيوية ، التي صارت مذهبا قديما في الغرب ، وإذا كان سوسير وشتراوس وغيرهما من اعلام مدرسة البنيويين ينظرون إلى لغة الادب ، لامن منظور لغوى تاريخي ، ويرون ان الادب كنتاج ثقافي يشكل من بنية اللغة ، ويقررون مبادئ نظريتهم البنبيوية ، فان عبد القاهر الجرجاني في كتابيه " الأسرار والدلائل " كان اسبق منهم جميعا قي الكشف عن هذه العلاقات في بنية الادب . وفي جوهر الفكرة في الشعر . وإذا كان الغرب يقف بين نظريتين في الادب ودراسته ونقده ، نظرية تعني بالظروف المحيطة بالنص ،

ونظرية تقف امام النص ذاتة [1]، حتي ليؤكد اليوت الامريكي الاصل والانجليزي الجنسية انه يجب ان نعني عناية شديدة بخصوصية النص ولغته ؛ فان نقادنا وأدباءنا القدامي كانوا دائماً مع النص وأثر عبقرية الاديب فيه

وعلي ادبائنا المعاصرين ان لا يغفلوا الطابع المحلي والشخصية الذاتية لابداعهم لان ذلك جواز للمرور ببوابة الادب العالمي . ومن قبل فال مستشرق فرنسي كبير : اننا نقرأ ادب الجاحظ واضرابه فنجد له لذة كبيرة ، ولانقرأ الادب العربي الحديث لانه بضاعتنا ردت الينا .

-٣-

وبعد ، فعسي ان تتأصل في ثقافاتنا وابداعنا الادبي العوامل التي تدعم مكانة ادبنا العربي وعالميته . . ومن اجل ذلك أقترح ما يلي :

١- ضرورة اهتمام ادبائنا بالتراث الادبي العربي ،والافادة منه .

٢- ضرورة اتساع ثقافة ادبائنا ، و إحاطتهم بالثقافة العربية اولا وبالثقافات العالمية ثانيا ؛ ليبدعوا ادبا يقبل علي

---

(١) يقول أحد نقاد شكسبير « ان قيمة الشعر انما ترجع الي حسن نظامه الباطني وليس الي مطابقته لحوادث تاريخية . والمقياس الوحيد الذي يمكن ان يسأل الفنان عنه هو ان يعبر العمل الفني عن ذاته ، اي ان يكون متسقا من داخله » .

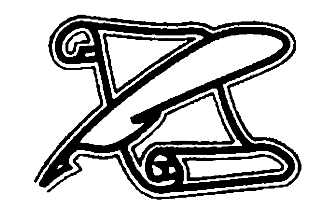
قـراءته مثـقفـو العالم ، ولاغني للادباء عن الرحـلات الأدبية الي مراكز الاداب العالمية

٣- الاهتمام بالكتاب الأدبي شكلا ومضـمونا ،ليكن سفيرا لادبنا في العالم . مع فتح منافذ لتوزيعه في الخارج

٤- اعادة فتح فرع القاهرة لنادي القلم الدولي

٥- اثراء حركة الترجمة من العربية وإليها ، وقد قدم هنا في الشعبة اقتراح بانشاء اكاديميـة او معهد للترجمة ،و نحن لنا تاريخ مـضئ في ذلك حـيث قامت دار الحكمـة في بغداد في عـهد الرشـيد ، ودار الحكمة فـي القاهرة في عـهد الحـاكم بأمر الله ، كـمـا قامت دار الحكمـة في القيروان وفى قرطبة.

٦- عدم تجـاهل دور الاعـلام في التعـريف بأدبنا عن طريق الاذاعـة ، والمجلات الـثقـافـية والأدبـية ، واتحـادات الكتاب، والمجامع اللـغوية ووزارات الثقافة والجـامعات العربية ، والمعاهد والمراكز العربيـة والادبية والثقافية في الخارج .



العقاد والعبقرية

يرقد فى محراب الجلال ، وحمي الخلود ، وكهف الابدية ، المفكر الذي طالما هز الطغـاة ، وتضر وجـه الحيـاة ، ومثل اروع مواقف الرواد والدعاة .

والذي عاش صورة مشرفة لشموخ الفكر العربي بكل جلاله وجماله .

كان عباس محمود العقاد شيخ المفكرين والكتاب والادباء في القرن العـشرين ، وكانت عـبقريتـه ملء السمع والبصـر ، وكان العقـاد يؤمن بالعبقـرية ، ويشك في الذين ينتقصـون من مواقف الابطال او يسـفهـون آراءهم ، ويحيـطون بواعثـهم بالريب ، او يردونها الي التماس المنفعة الشخصية وطلب المجد الذاتي .

كتب عبقرياته الاسلامية عن عباقرة الاسلام وابطاله ، واتخذ مواقف العبقرية والتحدي طول حيـاته منهجا له ، ومثل العبقرية كاملة بشمـوخه و صموده في ازمات الحيـاة ومشكلاتها ، وبفكره الرفيع وادبه الخـالد البليغ ، وكانت كل سيرة حـياته وفكره وادبه مثالا عاليا لعبقري من عباقرة الاتساتبية الخالدين .

ادب العقاد ، شعره ، فكره ، فلسـفته ، كلها نابعة من هذا



التيار ، من وجدان عبقري صارت حياته في كل خيوطها والوانها نسيجا عبقريا متلاحم الاجزاء، عضوي الصور والظلال .

ودعوة العقاد للتجديد منذ أوائل القرن العشرين ، في نطاق مدرسة الديوان ، مع موقف زميليه : عبد الرحمن شكري وإبراهيم عبد القادر المازني ، ووقفته موقف التحدي ، لرواد الحركة الادبية والشعرية ، من المحافظين ، من امثال : شوقي ، وحافظ ، والمنفلوطي ، وكتابته لاعنف الفصول النقدية التي حفظها تاريخنا الادبي كوثائق ذات قيمة كبيرة في حياة مدارسنا النقدية والشعرية . ثم دعوته للوحدة العضوية ، وللتجربة الشعرية ، في القصيدة ،وايمانه بان الشعر يجب ان يكون تعبيرا عن ذات الشاعر ووجدانه وحياته الباطنية العميقة ، صادرا عن نفس الشاعر وروحه ،حتي ليصبح اساس الحكم بعظمة شاعر هو ظهور شخصيته في شعره ، وصدقه في الإحساس والتعبير .

مواقف العقاد السياسية كلها منذ ان ناضل في صف الشعب، مع ابطال ثورة عام ١٩١٩ الي ان لقي ربه ، وتبريزه في الجدل السياسي ، وفي النقد الصحفي .

كل ذلك من صور عبقرية الرجل وعظمته .

لقد كان في العقاد حدس الشاعر ورهافة حسه ، ودقة ملاحظة العالم وقدرته علي التحليل والتعبير وعمق الفيلسوف

ونفاذ نظراته وسعة احاطته . . . اعـتز بلغته ودينه ووطنه وعروبته اعتزاز المؤمن العميق الايمان بكـل ما يذهب اليه . ومع ذلك فقد كـان واسع الافق رفـيع الخلق ، انسـاني الـنزعـة ، يكتب عن الصـديق ابي بكر وعن عـمر بن الخطاب ، ثم يـكتب عن اقبـال وجناح وغاندي وبرنادشو ، ويحلل عـبقرية المسيح ، وبكتب عن الله وعن آدم ، وعن ابليس قائد الضلال والضالين .

الحيـاة عنده نموذج واحد ، نموذج رفيـع ،لا ينحدر الي شئ من سفاسفها أو دنسها . وأهم البواعث في أدبه هو الحب وصدق العاطفة وحـرارة التجربة وجلال الطبـيعة . أدبه وشعره هدفـهما تحبيب الناس في القيم المعنوية ، والاعتزاز بالنفس وتخليد مظاهر البطولة،وابراز مـا خفي من خـواطره وتأملاته ، من اجل تحـرير الشعر والادب من ربقة العبودية ومن النفاق .

وتحدث الـعقاد فـي شعره عن الانـسان وعن سـر وجوده ، وعن عجزه عن مـعرفة اسرار الكون الغامض ، وعن حـاجته الي الايمان ، كما عبر عن اعماق وجـدانه ومشاعره وخوالجه وتأملاته وارتساماته، وظمئه الروحي وحيرته النفسية العميقة :

ظمآن ظمآن لا صوب الغمام ولا ... عذب المدام ولا الانداء ترويني

حيران حيران لا نجم السمـاء ولا ... مـعالم الارض في الغمّـاء تهديني

يقظان يقظان لا طيب الرقاد يدا ... نيني ولا سمر السمار يلهيني

شعري دموعي وما بالشعر من عوض ... عن الدموع نفاها جفن محزون

ياسوء ما أبقت الدني لمغتبط	علي المدامع اجفان المساكين
اسوان اسوان لا صفو الحياة ولا	عجائب القدر المكنون تعنيني

ويهاجم العقاد طول حياته السطحية والابتذال والعامية والسوقية، رأي الشعر فنا يجب ان ترتفع الاذواق الي مستواه ، لا ان ينزل هو الي مستوي الناس .

وكتب العقاد فى عدد المساء الا سبوعى عام ١٩٦٦يقول :

انه يكتب للخاصة ولا يسوءه ان يقرأه العامة ، وقال : ان الادباء وشبابهم يعيشون في عصر العقاد ، نعم في عصر العقاد العظيم ،لافي عصر احد غيره .

فأي اعتزاز بالنفس وبالذات أعلي وأسمي من هذا الاعتزاز.

لقد كان العقاد في كل موافقه العبقري الصادر عن فكر مفكر عبقري اتخذ العبقرية موفقا محددا له ، طيلة حياته ، شابا ورجلا وكهلا مجربا ، يرزح تحت اعباء السنين والايام .

حياته لون من الوان الجهاد ، لم ير ان يحمل غيره فيها اعباء الكفاح معه في سبيلها .

عاش حياته مع محمد عبده وسعد زغلول ، واخد عن الاول كل فلسقته الاسلامية والايمان الروحي العميق ، من أجل الوطن وحريته وعرته .

ولما لم بجد مثل محمد عبده وسعد زغلول عاش مع أبطال

عبقرياته مؤمنا متزهدا متـصوفا اعمق التصوف في الحياة، مع كل ماكانـت تزخر به نفسه من قـوي معنوية لاتنفد . ومات بـجسده لكن فكره أو قل أدبه خالد لا يموت .

صالح جودت

شاعر الوجدان العاطفي

-١-

لا نزال نذكره

ولسوف نظل نذكره

شاعراً رائع الشاعرية عبقري الالهام حلو النغم رفيع الصياغة.

الأجيال لن تنسي هذا الشاعر الكبير الذي كان يصوغ شعره من روحه ودمه ويترنم به الناس في أفراحهم واحزانهم ، وينشدونه في أمسياتهم مع ندي السحر ، وضوء الفجر ،اغنيات عذابًا ، وألحانًا تحسبها السحر مذابًا والعطر مستطابا .

وحياة صالح جودت كلها كانت افراحًا الا السنة الأخيرة من حياته التي قضاها مرضًا وعذابًا وتنقلا بين المستشفيات وأيدي الأطباء أملاً في الشفاء ودعاء بالعافية .

كتب إليَّ من لندن في السابع عشر من ديسمبر عام ١٩٧٥ يقول : لقد كانت الرحلة التي اجتزت محنتها طوال هذا العام رحلة عذاب ، لم أكن لاحتمله لولا لطف الله وما ثبته الله في

قلبي من الإيمان ، فمن مستشفي المعادي إلي مستشفي تلمسان فى الجـزائر إلي مسـتشـفي برومنتـون هنا حيث اجـريت لي عمليـة خطيرة، شاءت عناية الله ان تمر بسلام ثم المستشفى الذي أنا فيه الآن Roual Marsdem sution hospital surry , u.k وهو مستشفي في الريف الإنجليزي الجـميل علي بعد ساعـتين من لندن ، حيث اعالج بالأشعاة الذرية لتغطية العـملية لمدة تقارب الشهرين ، وقد اسلمت امري لله ، وهو الرحمن الرحيم . . في غربتي ووحدتي وسرير مرضي اشعربان معي عناية الله .

وبعد عشرين يومـا يرسل لي من مستشفاه رسـالة ينبئني فيه بأن العلاج ماض في الطريق المرسوم ، ويكل فيها امره إلي القدر المحتوم .

وهكذا عاش الشـاعر عامـه الأخير مـترنحًا في فـراشه بين مسـتشفي وآخر وبين غـرفة انعاش وأخـري وبين عملية جراحـية وثانية في القـاهرة وفي انجلترا وهولاند بالصبـر الجميل ومتـحملاً للألم العبقري ، وعاد من لندن ليقضي أيامًا قصارًا اسلم فيها أمره لله وهو يردد الحمـد لله (خلاص) وكـانت لحظة الوداع . . يقول صالح جودت فـي قصيدته (أكذوبة الموت) ديـوان صالح جودت ص ٨٢ يؤكد فيها خلود الروح :

وما حرت في الموت وفي أمره

وما طواه الله من سره

وكلما سألت عنه أمرأ

أجابني : والله لم ادره

أليس في القبر حياة أمرئ

تطول بالمرء إلي حشره

فكيف قالوا : إنه ميت

من يوم أن غيب عن دهره

وراجع هذه القصيدة في مجلة أبوللو مايو ١٩٣٤ هـ١٢٥

ومن مستشفاه في إنجلترا كتب يقول :

ذبلت نضرتي وجف الاهاب

وتوالي إلي الختام الكتاب

من معيني علي ثلاثة آلام

سقام ووحدة واغتراب

محنة جاوزت من العمر عامًا

وإلي أين ينتهي بي العذاب

مرض تفزع المسامع منه

وتشيب الردي وتعنو الرقاب

وما طواه الله من سره

وكلما سألت عنه أمرأ

أجابني : والله لم ادره

أليس في القبر حياة أمرئ

تطول بالمرء إلي حشره

فكيف قالوا : إنه ميت

من يوم أن غيب عن دهره

وراجع هذه القصيدة في مجلة أبوللو مايو ١٩٣٤ هـ١٢٥

ومن مستشفاه في إنجلترا كتب يقول :

ذبلت نضرتي وجف الاهاب

وتوالي إلي الختام الكتاب

من معيني علي ثلاثة آلام

سقام ووحدة واغتراب

محنة جاوزت من العمر عامًا

وإلي أين ينتهي بي العذاب

مرض تفزع المسامع منه

وتشيب الردي وتعنو الرقاب

فهو الاخطبوط ينهش في الصدر

كما تنهش العظام الذئاب

أنا في غرفة يضج بها الصمت

وينعي اركانها الاكتئاب

-٢-

كتب عنه الشاعر الابوللي عامر محمد بحيري يقول (الجمهورية في ١٩٧٦/٧/٣٠) .

في أبوللو عرفت كوكبة من شعراء الشباب كان في مقدمتهم صالح جودت ، لأنه كان ارقهم شاعرية وأوفرهم خصوبة ونشاطًا، وكان منهم الهمشري ومختار الوكيل وحسن كامل الصيرفي ؛ وصالح كان شاعر الغناء وشاعر الغزل .

وكتب فكري أباظة في مجلة المصور عقب وفاة صالح يقول: طالما استمتعت الملايين بشعره في مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والقومية والوطنية والعربية وغيرها من ألوان شعره الذي عبر الحدود ، وكان عزاء لكل حزين وسلوي لكل منكوب ومكروب، وشبعًا وريا لكل جائع وظمآن . . . وكتب د. عبد العزيز الدسوقي (مجلة الثقافة اغسطس ١٩٧٦) يقول صالح جودت إلى جانب أنه شاعر وجداني كبير ، شاعر إنساني من أعمق شعراء الإنسانية .

وكتب حافظ محمود يقول (جريدة الجمهورية - يوليو ١٩٧٦) أحسبنا وقد ودعنا صالحا إلي مقره الأخير أننا ودعنا جيلا من الشعراء ابتداء منذ مئات السنين بأبي نواس وانتهاء بصالح جودت ، وما أحسب أن صالحا ينتظر من محبيه دمعة ، فقد كانت حياته ابتسامة .

وقال عنه صديقه وزميله الناقد المعروف مصطفي عبد اللطيف السحرتي: كان صالح جيلا كاملاً من الشعر والشعراء .

وقال الدكتور فرهود : لقد جعل صالح الشعر لغة الشعب جميعًا ، وحبيب الجماهير في سماعه وفي انشاده .

وقال صديقه الدكتور مختار الوكيل (الهلال عدد اغسطس ١٩٧٦) : شاعرية صالح تستند إلي دعائم مكينة من الفصحي ومن ألفاظ مختارة أنيقة . وصور رائعة وموسيقي خلابة .

وكتب الشاعر محمد عبد الغني حسن (مجلة الثقافة عدد أغسطس ١٩٧٦) يقول : كان صالح يمتاز بأسلوب شعري متميز يجعله فريداً في طرازه بين شعراء العصر الحديث ، كما أنه يمتاز بقافية رقيقة مواتية طيعة . ولقد كان شعر الشاعر الكبير الخالد صالح جودت صورة رائعة لمصر الخالدة ، وكانت مصر ملهمته وينبوع شاعريته وعبقريته معا ، وكانت مصر الوطن دائمًا في روحه وفي قلبه ، تغني بها وبالنيل في العديد من قصائده ، وكان متعدد المواهب واضح الشخصية محبوبًا ذائع الشهرة في كل مكان

من بلاد العروبة ، كان صالح شاعرًا في مقدمة الشعراء وكاتبًا مع كبار الكتاب ، وصحفيًا مع نجوم الصحافة ، وإذاعيًا مع الرجال من الرواد الاذاعيين ، كما كان مؤلفًا مع المؤلفين وظريفًا مع الظرفاء ، وبالجملة لقد كان أديبًا مع اعلام الآدباء ، وكان جميل الألقاء لشعره ، حاضر البديهة في جده ومزاجه ، صياغته الشعرية تتمثل فيها لغة الشعب ، كما تتمثل فيها روح العروبة والإسلام ، وروح مصر وحضارتها .

-٣-

الحب هو الملهم الأول والأخير لشاعريته حب الفن ، وحب الجمال ، وحب الناس و وحب وطنه ، نسيج بديع يميز فنه الشعري الأصيل .

وموسيقاه الشعرية ، وصوره الجميلة ، وروحه القصصية في شعره ، تتمثل كلها في قصائده تمثلاً كاملاً ، متأثراً كل التأثر بشوقي ، وكان يتمم خطي شكري والعقاد والمازني وأبى شادي وعزيز أباظة وإيليا أبي ماضي وعلي محمود طه والشابي في الشعر وفي دواوينه الستة .

ديوان صالح جودت ١٩٣٤ ، ليالي الهرم ١٩٥٧ ، أغنيات علي النيل ١٩٦٢ ، حكاية قلب ١٩٦٥ ، ألحان مصرية ١٩٦٨ ، الله والنيل والحب ١٩٧٢ .

فيهـا جميعًـا أصداء من مدرسة أبوللو ومن مـدارس الشعر المختلفـة في القديم والحديث . . .وقال عنه رائد مـدرسة أبوللو الشـعرية الدكـتـور أحمـد زكي ابو شـادي : ان الروح الشعـرية جوهر، كما أن الموسيقي جـوهر آخر ، وقد جمع صالح جودت بينهما .

وكان صالح جـودت يعرف الشعر بأنه مـوسيقي ، ومن ثم سادت الموسيقي والأنغام الجميلة شعره ، حتي ليلوح لقارئ شعره أنه لا يطالع شعـرا ، وأنما يستمع إلي الحـان عذبة ليست بحـاجة إلي ملحن : ومن هنا آثر شـعر شـوقي لحلاوة مـوسيـقاه وكـان يحفظه كله عن ظهر قلب ، ومـوسيقي الشعر عند صالـح مقدمة علي التصوير .

ويمتاز أسلوبه الشعـري بالسهولة والحلاوة ورشاقة التـعبير ، مع اللمحة الذكية التي تسعفه في المناسبات الكبري .

ولشـعره مـذاق خاص حـيث تسـوده الروح المصرية المرحـة الفكهة .

صالح جـودت شاعر غنائي رقـيق ، حلو العبارة ، فـياض العاطفة ، ومن هنا كان لأغانيه صدي خاص في آذان المستمعين ، ومن بينها قصائده التي غنتها أم كلثـوم ، ونجاة الصغيرة ، وفايزة أحمد ، وكارم محـمود ، ونور الهدي ، وليلي مراد ، وإبراهيم حمودة ، وعقيلة راتب ، وغيرهم .

وقد ظفر ديوانه (ليالي الهرم) المطبوع عام ١٩٥٧ بجائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٥٨ ولقد يصح أن يقال في صالح ما قيل في البحتري : أراد أن يشعر ، فغني .

وينتمي صالح إلي مذهب الاصالة الشعرية الذي يحمل في طياته روح الابداع والتجديد في صياغة القصيدة وموسيقاها ، وهو شاعر رومانسي أبوللي الانتماء .

وكم كان لمواقفه القومية في شتى المناسبات العربية الكبري صدي كبير علي منابر العروبة ، كقصائده :

من القاهرة إلي تل أبيب ، علي بردي وألقيت في مهرجان الشعر الثالث بدمشق عام ١٩٦١ ، رائد القومية العربية التي انشدت عام ١٩٦٠ بفندق هيلتون في حفل تكريم الشاعر القروي، ثورة الروح التي ألقيت بقاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة عام ١٩٦٠ احتفالا بدخول ثورة الجزائر في عامها السابع .

- بلقيس وهي من وحي رحلته إلي اليمن عام ١٩٦٢ وقد ألقاها في مهرجان الشعر الخامس بالاسكندرية عام ١٩٦٦ .

- ليلي التي ألقيت في مهرجان الشعر السادس ببغداد عام ١٩٦٥ .

ويتعادل ميزان الشعر في يد صالح بين العاطفة والوجدان

ومشاعر الانتماء .

وله في شعره نظرات تأملية ظهرت في بواكير شعره . كما في قصيدته (الراهب المتمرد) علي أن الغالب علي شعره هو تلك النزعة العاطفية العميقة . كما أن له لمسات إنسانية في شعره أراد بها الشاعر الاعتذار عن الضعف البشري .

-٤-

وقد ولد الشاعر صالح جودت في ٧ ديسمبر ١٩١٢ بمدينة الزقازيق ، واتم تعليمه الثانوي بمدرسة المنصورة الثانوية حيث التقي هناك بزميله الشاعر محمد عبد المعطي الهمشري ، كما التقي في المنصورة كذلك بشاعرين يكبرانه سنا ،وهما الشاعران إبراهيم ناجي (١٨٩٨ - ٢٥ مارس ١٩٥٣) وعلي محمود طه (١٧ نوفمبر ١٩٤٩) وصار هؤلاء الشعراء الأربعة أصدقاء العمر والأدب والشعر ، وانضم إليهم الشاعر الدكتور مختار الوكيل... ودخل كلية التجارة بجامعة القاهرة وتخرج منها عام ١٩٣٧ وحصل منها علي الماجستير عام ١٩٤٩ في العلوم السياسية .

وعمل في بنك مصر ، ثم تركه إلي الصحافة محرراً بصيحفة الأهرام فرئيسًا لمجلة الإذاعة ، فمراقبًا للبرامج الثقافية بالإذاعة المصرية ، فمديراً لتحرير مجلة المصور ، فرئيسًا لتحرير مجلة الهلال ، فنائبًا لرئيس مجلس إدارة دار الهلال .

وشارك صـالح جودت في مـؤتمرات الأدباء ، ومهـرجانات الشعر التي عقدت في طائفة من العـواصم العربية والمدن التاريخية في القـاهـرة والإسكندرية وبغـداد ، ودمـشـق وغـزة ، وتونس وتلمسان .

كما شارك في كثير من مـؤتمرات عالمية ، كالملتقي الإسلامي في الجزائر في صـيف عام ١٩٧٣ ، وكالأسـبوع الثقـافي العربي الالماني الذي عقد في مدينة ثوبنجن عام ١٩٧٤ .

ومثل مصـر في مهرجانات عـربية كبري : كـالمهرجان الذي اقيم في لبنان عام ١٩٦١ ، وكان ممثلاً للصـحافة المصرية والعربية في حفلات ايران بذكري كورش الأكبـر بمناسبة مرور ألفي عام ، وذلك أيام حكم الشاه رضا بهلوي . واختير عضواً في لجنة الشعر بالمجلس الأعلي لرعـاية الفنون والآداب منذ انـشائه ، وفي عـام ١٩٧٣اختير مقرراً له بعد وفاة الشاعر الكبير عزيز اباظة وهو ثالث مقرر للجنة بعد العـقاد وعزيز أباظة ،كما كان عضواً في جـمعية الأدباء ورئيساً لجمعية المؤلفين والملحنين .

-٥-

ويقول السحـرتي في صالح : كان شعره البـاكر عند اتصاله بمدرسة أبوللو من اعـذب أوتارها الشعرية وامـتاز بشعـره الغزلي وغنائيته الحلوة الخلابة ، وبعبارته الصـافية العذبة في مثل قصائده العيون الزرق - ظمآن .

وصالح جودت هو شاعر القصيدة العمودية بكل أصالتها وبساطتها ورقتها وجمالها وموسيقاها وصورها الخلابة وبلاغتها الآسرة ، أحبها ، ونظمها ودافع عنها طيلة حياته .

وأهم حدث أدبي في حياته كان هو انضمامه إلي جماعة أبوللو الشعرية التي قامت عام ١٩٣٢ برياسة أمير الشعراء أحمد شوقي وامانة سر مؤسسها الدكتور أحمد زكي ابو شادي والتي انضوي تحت لوائها اعلام الأدب والشعر في مصر والعالم العربي والتي كانت تتغني بأبوللو إله الشعر ، والرمانسية والشعر الوجداني تيار العصر في الشعر وروحه الملهمة الحالمة .

وبالاضافة إلي مكانة صالح جودت المرموقة في الشعر كان كاتبًا ممتازًا من كتاب السير والتراجم ، ويتجلي ذلك في كتبه عن أحمد فتحي شاعر الكرنك ومحمد الهمشري . وناجي (حياته وشعره) وفي كتابه (بلابل من الشرق) الذي كشف فيه الستار عن نواح مجهولة لطائفة من الشعراء المعاصرين .

وكان كذلك مجيدًا في كتابة القصة القصيرة والقصة الطويلة، التي تهدف إلي الاصلاح الاجتماعي ، والتي يتحاشي فيها الاثارة والجنس .

ويتميز في كتاباته الصحفية بالصراحة واصابة الهدف والانصاف وتشجيع المواهب والادباء الناشئين . وتمثل مقالاته في الهلال التي كانت تنشر تحت عنوان (رحلة الشهر) وكذلك مقالاته

الاسبوعية في مجلة المصور ، تمثل لونًا طريفًا منصفًا من الصحافة الأدبية والسياسية .

-٦-

وقد خلف صالح جودت لنا ثروة كبيرة من المؤلفات من بينها :

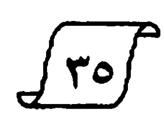
١- في مجال الشعر :

ديوان صالح جودت صدر عام ١٩٣٤ - ليالي الهرم صدر عام ١٩٥٧ ، اغنيات علي النيل صدر عام ١٩٦٢ ، حكاية قلب صدر عام ١٩٥٦ ، ألحان مصرية صدر عام ١٩٦٨ ، الله والنيل والحب صدر عام ١٩٦٨ .

٢- في مجال القصة الطويلة : عودي إلي البيت وداعًا أيها الليل ، بنت افندينا والشباك .

٣- في مجال القصة القصيرة : كلنا خطايا ، صدر عام ١٩٥٧ - في فندق الله صدر عام ١٩٥٩ ، كلام الناس صدر عام ١٩٥٩ ، أولاد الحلال ، خائفة من السماء .

٤- في مجال السير والتراجم الأدبية : ناجي حياته وشعره، ملوك وصعاليك صدر عام ١٩٥٩ ، بلابل من الشرق طبع مرتين والمرة الثانية صدر عن دار المعارف المصرية- شاعر الكرنك صدر في كتاب الهلال الشعري عام ١٩٧٣ ، شعراء المجون صدر في كتاب الهلال الشعري



عام ١٩٧٢ ، محـمـد عبد المعطي الهمشـري صدر عام ١٩٥٩ عن المجلس الأعلي لرعاية الفنون والآداب .

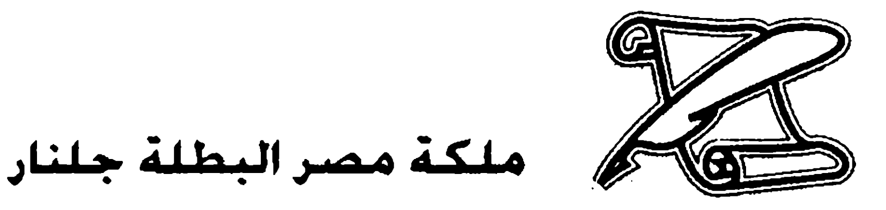
٥- في مجـال جمع الدواوين وتحقيـقها : ديون الهمـشري صـدر عن المجلس الأعلي للفنون عـام ١٩٧٤ ، ديوان ناجي حـيث شارك في جـمع شعـر ناجي مع الدكتـور الأستاذ أحمد هيكل والشاعـر أحمد رامي وشقيق ناجي - الأستاذ محمد ناجي ، ديوان أحمد فتحي .

٦- كتب متنوعة : قلم طائـر ، تصوير آدبي لرحلاته خارج وطنه - أساطير وحواديت .

-٦-

وبعد فهذا هو صالح جودت في شاعريته وشعره وأدبه وتراثه وفي سجل حيـاته ، وصفحات نشاطه . . إنـه قصة طويلة ، من المجد والخلود ، وحـسبنا هنا أن نذكـر بعض أبيات من قصـيدته (سراب) :

سراب وكل حياتي سراب   وفي وهمه قد اضعت الشباب
سراب ، واسلمته خاطري   فعللني بالاماني الكذاب
وتابعته رغم يأسي به   ومعرفتي أنه لا يصاب
واجهدني السير في إثره   فلا القلب مل ولا العقل ثاب



ملكة مصر البطلة جلنار

-١-

يوم الاحد الرابع من صفر٦٥٦ هـ - الثاني عشر من فبراير ١٢٥٨م بغداد غارقة في الدماء . . .

جيش هولاكو يقتحمها ، ويدك حصونها ، ويبيد الجيش العباسي المحاصر فيها ابادة كاملة .

والخليفة ومعه أبناؤه الثلاثة : أبو الفضل - أبو العباس - أبو المناقب - ومن خلفهم ثلاثة الاف من رجالات الدولة ، يخرجون ليقابلوا (هولاكو) في معسكره خارج المدينة ، ويسلموا اليه بغداد ، دار السلام ، وعاصمة الاسلام .

ويأمر هولاكو الخليفة بأن يكتب بياتا للناس بتسليم ما لديهم من أسلحة ، والخروج من المدينة ، فيفعل ما أمره هولاكو ويلقي الناس اسلحتهم ويخرجون صفوفا صفوفا ، فيبيدهم هولاكو ابادة تامة . وفي يوم الاربعاء السابع من صفر يعلن هولاكو الابادة الكاملة لكلّ من قد بقي في بغداد .

---

(١) الجلتار : زهر الرمان ، فارسي معرب .

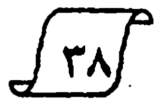


وفي يوم الجمعة التاسع من صفر يدخل هولاكو المدينة ، ويجلس في قصر الخلافة ، ويأمر بقتل الخليفة وولي عهده ، وفي اليوم التالي يأمر بقتل جميع امراء البيت العباسي ، وانتهي تاريخ العباسيين والخلافة العباسية وكنوز سبعة وثلاثين خليفة جلسوا علي العرش في بغداد ، عاصمة الدنيا ومنارة الحضارة في العالم آنذاك . وظل المغول يعملون القتل والنهب في بغداد اربعين يوما ، ويحرقون كتب العلم التي كانت ببغداد ، او يلقون بها في مياه دجلة ، وما اكثرها في سائر العلوم والفنون التي ما كان في الدنيا ما يضارعها كما يقول صاحب النجوم الزاهرة ......

-٢-

وفي يوم الجمعه الثاني والعشرين من رمضان ٦٥٧هـ / ٢٣٥٩م يتوجه السفاح هولاكو الي الشام :

- ديار بكر وربيعة ومدن الشام تسقط في ايدي التتار .
- حلب تقاوم ثم تسقط صريعة امام جيش هولاكو .
- دمشق تستسلم لجيش التتار .
- المغول ينتشرون في آسيا الشمالية الغربية ، ويهددون أوربا كلها .
- سلطان حلب الملك ناصر الدين يمثل أمام هولاكو ويقول له القائد المنتصر : عندما استولي علي مصر ، سأفوض



اليك حكومة الشام.

- القائد المغولي يسير من دمـشق بجيش عظيم لفتح مصر ، والدمار والخراب يسير خلفه وامامه إينما سار .

- رسالة من هولاكو مع رسول مغولي يصحبه اربعون مغوليا موجهه الي سلطان مصر ، وهو ثالث سلاطين المماليك، الملك المظفر سيف الدين قطز ، وكان قـد تولي العرش في السـابع من ذي القـعـدة عـام ٦٥٧هـ منذ شـهـور قلائل[١]، وفي الرسالة يقول هولاكو :

- من ملك الملوك شرقا وغربا ، القائد الاعظم ، الي سلطان مصـر ، إن الله قد منحنا ممالك الارض جميـعا ، وكل من يتمـرد علينا ، ويعصـي أمرنا ، يقضي عـليه ، مع نسائه واقـاربه والمتصلين به ، و علي بلاده ورعاياه كـما بلغ ذلك اسماع الجميع ، اما صيت جيشنا الذي لاحصر له، فـقد بلغ غـاية الشهـرة ، فان كنت مطيـعا كـخدم حضرتنا فأرسل الينا الجـزية ، وأقدم بنفسك ، والافكن مستعدا للقتال [٢]. .

---

(١) كانت نهايته القتل في ١٥ ذي القعدة ٦٥٨ هـ نتيجة مؤامرة دبرها قائده بيبرس، وحكم ١١شهرا و١٣ يوما بعد النصر العظيم الذي احرزه في عين جالوت بقليل .

(٢) جامع التواريخ لرشيد الدين الهمذاني م ٢ جاص ٣١٠ ، وكان هولاكو يصف مصر والقاهرة بانها (كردان سراي) اي محطة تجارية كبيرة .

وفي اخر الرسالة تهديد لشعب مصر جاء فيه : يا أهل مصر، انتم ضعاف ، فصونوا دماءكم ، ولاتقاتلوني أبدا، فتندموا . .

وفجأة تصل هولاكو رسالة عاجلة تنبئه بأن شقيقه الاكبر الامبراطور المغولي مانجوخان قد مات ، فيترك الميدان ، ويعود الي عاصمة بلاده ويترك قيادة الجيش الذاهب لفتح مصر لقائده ونائبه وصهره (كيتو بوفانوبان) .

وتصل الرسالة الي قطز في القاهرة في قصره بقلعة الجبل ، فيعقد مؤتمرا حربيا ، ويتخذ قرارا بالحرب ، لنتوجه جميعا الي ساحة المعركة . فإذا ظفرنا فهو المراد ، والافلن نكون ملومين أمام الله والناس . . ويصبح الناس ليروا : رسل هولاكو مصلوبين في ميادين القاهرة اعلانا للحرب .

-٣-

ويتحرك جيش مصر ، وعلي رأسة سلطان مصر قطز ، وقائده بيبرس . . وفي عين جالوت كانت المعركة الفاصلة ، في ٢٥ من رمضان عام ٦٥٨هـ : ٤سبتمبر ١٢٦٠م .

قطز يقف في ساحة المعركة، يقاتل الاعداء ، و جيش المغول يترصده وسهامهم تنتاشه من كل جانب ، و تسرع جلنار زوج السلطان الي سلطان مصر تحميه بنفسها من سهام الاعداء ،

ويصيبها في ارض المعركة سهم قاتل فيصيبها في الصميم ، وتخر صريعة ، شهيدة الوطن ، وهي تهتف لمصر ويقبل بيبرس ، فيحملها من أرض المعركة ، ويقدم فرسه للسلطان ليركبه بعد ان سقط فرس السلطان من كثرة السهام . ويبيد جيش مصر الجيش المغولي ابادة كاملة ، ويجئ قائدهم المغولي مكبلا بالحديد ، فيقف بين يدي سلطان مصر ، ويقول له قطز : ايها المجرم ها أنت ذا بين يدي سلطان مصر ، بعد ان سفكت الدماء البريئة ، وقضيت علي الارواح الطاهرة وخدعت الناس بأقوالك الكاذبة ، ويتمت الاطفال ، ورملت النساء ، وقد وقعت اخيرا في يدي .

ويرد القائد الاسير بأن هولاكو سيدمر مصر انتقاما لشرفه .

ويصدر السلطان حكمه باعدام هذا المغولي السفاح .

ويبلغ الخبر هولاكو فيعلن الحداد علي جيشه وقائده اربعين يوما ، وتصيبه لوثة شديدة فلا يفارقه شبح جيش مصر ، وطيف جلنار ، ليل نهار .

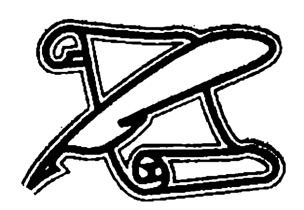
-٤-

وفي ليلة الاحد التاسع من ربيع الثاني عام ٦٦٣هـ - ٩ فبراير ١٢٦٥م كان هولاكو ابن الثمانية والاربعين عاما ينام في مخدعه ، وهو يردد : ليتني لم احارب مصر ولا سلطان مصر ، ولا جيش مصر ، ليتني لم احارب جلنار . . .

ومات هولاكو قائد التتار ، ومدمر عاصمة العباسيين دار السلام ، وهو الابن الثالث لتوي خان والابن الرابع لجنكيز خان (٥٥٥- ٦٢٤هـ: ١١٦٠- ١٢٢٨م) وكان هولاكو في ظلال اخيه الامبراطور مانجو خان هو الامبراطور الفعلي المتوج علي ايران والبلاد الواقعة غربها ،

والناس في اقاليم منغوليا الداخلية الواقع شمالي الصين لا يزالون يتجمعون كل عام عند قبر جنكيز خان قرب مدينة ايجين هورو للحج والعبادة ، وينظر اليهم سكان جمهورية منغوليا الشعبية الواقعة تحت سيطرة السوفييت مشاركين بقلوبهم ، وان كانوا لا يستطيعون ان يبدوا فرحهم لأن جنكيز خان عند الروس رجعي .

وهكذا مضي جنكيز خان ومن بعده هولاكو مثل سلفه جنكيز خان . . ولم يلق هولاكو الهزيمة الا علي يدي جلنار ، وجيش جلنار ، جيش مصر .



ابراهيم عبد القادر المازني

(٩ اغسطس ١٨٩٠ - ١٠ أغسطس ١٩٤٩)

في المعلمين العليا اتصل المازني بزميله الشاعر " عبد الرحمن شكري " ووثقت الزمالة الصلة بينهما ، واجتمعا ومعهما العقاد علي حب الادب الانجليزي ، وقرأوا للشعراء الانجليز وخاصة مجموعة " الكنز الذهبي " التي اختارها وجمعها الأستاذ بلجريف أستاذ الشعر بأكسفورد ، وبدأوا يطعمون شعرهم بالاخيلة والمعاني والصور الغريبة ، ويكتبون في وحدة القصيدة ، ويدعون الي الاصالة وصدق الشاعر في العاطفة والاحساس ، وفي التعبير كذلك ، والي ظهور شخصيته الفنية ، واستلهام الشاعر للطبيعة، وتناوله لشتي الموضوعات الانسانية ، ويحاربون التقليد والافتعال والتكلف وشعر المناسبات الطارئة .

وصدر الجزء الاول من ديوان شكري عام ١٩٠٩ ، والديوان الاول للمازنى عام ١٩١٣ ، والاول لـلعقاد ١٩١٦ ، من حين ظهر ديوان مطران عام ١٩٠٨ ، وديوان انداء الفجر لابي شادي عام ١٩٠٩ .

وحدثت بين مدرسة شعراء الديوان ومدرسة شوقي وحافظ معارك نقدية ظهر فيها عام ١٩١٥ كتاب للمازني في نقد شعر

حـافظ ، عنوانه «شـعـر حـافظ » ، وأعـلن شكري بعـد ذلك انفـصاله عن زمـيليه ، وثارت الخـصومـة بين ثلاثتهم ، وأخـذ شكري يعيب علي المازني انتحاله لبـعض الاشعار الانجليزية ، مما دون في « الكنز الذهبي » مما أحفظ صدر المازني عليه .

وفي عـام ١٩٢١ أصـدر المازني والعـقـاد كتاب الديوان في جزئين ينقدان فيه أحمد شوقي وحافظ ابراهيم ، ونقد المازني فيه المنفلوطي ، كما نقد شكري بعد أن مدحه في مقدمة كتاب «شعر حافظ» .

والمازنى رائد فى الأدب الساخر وأدب القصة والحوار والمقال الصحفى ، وفنان عبقرى أغنى الفكر بأدبه وبشعره ، وأثرى طول حياته الحياة الأدبية، ثراء ما بعده من ثراء .

ويؤمن أصحـاب مدرسة الديوان بأن الشـعر يجب أن يكون تعبـيراً عن وجدان الشاعـر وذاته وحياته الباطنيـة ، وصادرا عن نفس الشاعـر وطبعه ، والشـعر عندهم تغلب عليه الوجـدانية ، وعند مطران النزعة الموضوعية - وأساس الحكم بموهبة شاعر عند شعـراء مدرسـة الديوان هو ظهور شـخصـية الشـاعر فى شـعره وصدقه فى الاحساس والتعبير .

وشكرى فى الحقـيقة هو الذى ألهب إحـساس المازنى الفنى ودله على مناحى التجديد .

وقد بدأ المازنى حياته الأدبية شاعراً يتأثر الشعراء الإنجليز والشعراء العرب وبخاصة ابن الرومى والمتنبى والشريف ومهيار .

ويأخذ المازنى على شعراء المدرسة المحافظة تفكك الوحدة الموضوعية والعضوية فى قصائدهم ، واسرافهم فى شعر المناسبات وتقليدهم للقدماء ، ويصور ذلك فى مقدمة كتابه « شعر جاحظ » الصادر عام ١٩١٥ ، ونقد فيه حافظا . ويدعو إلى رومانسية الموضوع ورمزية التعبير الشعرى ، وإلى الصدق فى الإحساس والأداء فى كتابه « الشعر غاياته ووسائطه » الصادر عام ١٩١٥ أيضاً .

وللمازنى الكثير من القصص ، وله فى فن المقالة الكثير أيضاً، وهو من طليعة الكتاب المحدثين ، وأجاد المازنى فى أدب الترجمة اجادة كبيرة .

بين طه حسين
وزكي مبارك



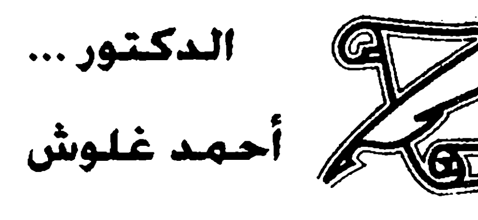
امتاز النصف الاول من القرن العشرين في مصر بكثرة المعارك الادبية والنقدية والثقافية بين كبار أعلام الادب والمفكرين. ومن معارك هذه الفترة معركة مدرسة الديوان مع امير الشعراء احمد شوقي ، ومعركة كتاب الشعر الجاهلي لطه حسين ، ومعركة الرافعي مع طه حسين ، ومعركته مع العقاد . وكتاب السفود يحمل آثار معركة الرافعي مع عباس محمود العقاد وخصومته له . . هذه المعارك كلها كان لها تاثيرها في الحركة الادبية المعاصرة . . . وقد صدر منذ سنوات كتاب عن المعارك الادبية بين طه حسين وزكي مبارك لكريمة زكي مبارك . . . .

ومن اشهر المعارك بين زكي مبارك وطه حسين معركة دارت حول الفكر اليوناني عند طه حسين ، ومعركة آخري حول نشأه النشر الفني في الادب العربي ، وهل وجد هذا النشر في الادب الجاهلي ؟ ومعركة حول الادب الوجداني والذاتي. . وكانت المعارك بين طه ومبارك محتدة طول حياتيهما

وفي كتاب كريمة مبارك تصوير لمعركة زكي مبارك مع طه التي دارت حول إبعاد زكي مبارك من الجامعة والتي اتسمت

بحرارة الحجاج و الخصومة وارتقـاء نغمة الجدل . ويقول الدكاترة زكي مبـارك موجها الخطاب الي طه حـسين : لقد زكيـتيني انت للتدريس في الجـامعـة منذ تسع سنين ، واشتغلـت بالتدريس في الجـامعـة ثلاثة عوام بجـانبك ، ولم تؤاخذني بهـفوة واحـدة ، وكتـبت عني تقريرا كـان يومئذ يمثل نزاهتـك ، فقلت إني أؤدي عملي تأدية موفقـة ، وانك راض عني وعن وعملي كل الرضا ، وانت تذكـر يا دكـتور طه ان إرادة فـوق ارادتك اخـرجـتني من الجامعة ، وتذكر انك مثلت دور الرجل الكريم فجزعت لخروجي من الجامعة اشد الجزع ، ورشحتني للرجوع اليها بعد ذلك مرتين

حوار شديد اللذع ، مرتفع النبرة ، حاد الخصومة . . ولكنه يحمل اسلوبا رفيعـا في بلاغته وجماله وصياغتـه وتحتدم المعركة فيكتب د. زكـي مبارك يندد بأخطاء لـلدكتور طه ، وينقـد كتـبه كتابا بعـد كتاب . وقد استمرت هذه المعارك المحـتدمة بين زكي مبارك وطه حتي توفي زكي مبـارك عام ١٩٥٢ ، فسكتت المعركة ، وانتهت الخصومة الي الابد ،



الدكتور ...
أحمد غلوش
١٨٨٢ - ١٩٦٨

مجاهد وطني حر ، وفيلسوف داعية - ذو قلب كبير ، وعقل نادر، وذكاء عجيب ، ومواقف خالدة ، وبطولات مأثورة، وتاريخ حافل ، ومواقف شمم وكبرياء غريبة . . لم تهدأ له ثورة ، ولم يسكن تحت أعباء السنين والأيام .

كنت كلما لقيته لقيني بابتسامة حلوة تترجم عن فلسفة إنسانية عالية وعن حب للقيم والمثل والمبادئ ، وعن روح سمحة مملوء بالحب للناس ، وإيثار وتواضع وسماحة وصراحة وشجاعة نادرة.

ولد في الإسكندرية عام١٨٨٢ وكان والده من امراء البحر ، وكان عمله وإقامته في الثغر ، وكان يوصي ابنه أحمد بالتفقه في الدين واللغة والإنجليزية .

تتلمذ الدكتور أحمد علي التراث وعلوم الدين واللغة والأدب والتاريخ والفلسفة ، وكان يلازم مسجد الشيخ بالثغر ، إلي دراسته في مدرسة رأس التين الثانوية ، حيث نال منها البكالوريا عام ١٩٠٩ .

وأنشأ في الثغر منذ عام ١٩٠٨ جـمعية منع المسكرات ، ثم سافر في بعـثة دراسية موفـدًا من وزارة المعارف المصرية إلي لندن للحصول علي الأستاذية قي اللغة الإنجليزية .

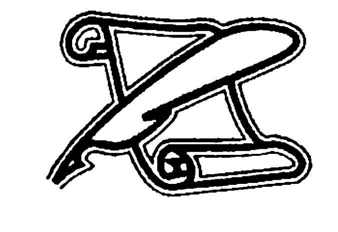
ومن جامعة لندن نال الدكتوراه في الفلسفة ، وعدة دبلومات علمية ، ومن جامعة هلسنكي نال الدكتوراه في الآداب .

وعاد إلي وطنه مدرسًا للغة الإنجليزية في مدرسته التي تخرج منهـا ، وهي مـدرسـة رأس التين الثـانـوية ، ثم نقل إلي وزارة الأشغـال وكيـلا لإدارة الترجـمة والتحـرير ، ثم نقل إلى وزارة الصحة مديرا لمكتب مكافحة المسكرات .

حضر العديد من المؤتمرات الدولية التي كـانت تعقد لمكافحة المسكرات . ومنها مؤتمر في بلچيكا عام ١٩١٨ ، وآخر في فنلندا عام ١٩٢٩ ، وعدة مؤتمرات في لندن وبرلين ،واستوكهولم . .

وأسهم في الحركات الوطنية المصرية والعربية ، ودعا الشباب إلي تحمل مسئولية الكفاح من أجل تحرير الوطن ومستقبله .

ترجم من العربية الكثير من أصول الفكر الإسلامي إلي اللغة الإنجليزية ، وألف كتابًا في التـعريف بالإسلام بالإنجليزية ، صار مرجعًـا مهما في مـختلف اللغات العالمية .وظـل الدكتور غلوش يكافح حـتي الرمق الأخـيـر حيـث توفاه اللـه إلى رحمـتـه فى ٣١/ ١٠/ ١٩٦٨ .



الدكتور ...

أبو الوفا التفتازانى

سنوات مضت علي وفاة المفكر والعالم الجامعي المصري الخالد ، الدكتور «أبو الوفا » ،في التاسع والعشرين من يونيو ١٩٩٤م ، ولا تزال شخصيته ماثلة للعيان وسيرته مضيئة للجيل، وفكره وعلمه زادا للمثقفين .

ولد التفتازاني في الرابع عشر من أبريل من عام ١٩٣٠ بكفر الغنيمي مركز منيا القمح بمحافظة الشرقية ، وورث عن والده الموهبة والذكاء وحب العلم ، ويصف محمد مصطفي حمام الشيخ الغنيمي التفتازاني (١٨٩٣ - يناير ١٩٣٦) والد أبو الوفا بأنه كان محدثًا وخطيبًا وأديبًا وشاعرًا وصحفيًا وغنيًا في اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والتركية والفارسية والعبرية والسريانية. ويصف حافظ محمود الشيخ محمد الغنيمي التفتازني أنه لم يكن أحد أذكي منه ، ومع أنه لم يدخل الأزهر كان ملجأ للذين يطلبون الفتوي في شئون دينهم ، وعمل مدرسًا في اللغة العربية لكبار الدبلوماسيين في القاهرة ، وكان بيته في حي الحنفي ملجأ لذوي الحاجات ، وكان إذا دخل منتدي فهو خطيبه الأول، وكان الوزراء والشيوخ يحتفون به وكأنه زعيم . وكان أول شيخ

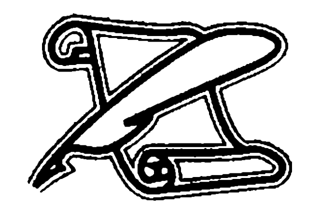
من غير شيوخ الإسلام يقف فوق منبر المسجد الأقصي فى القدس ليخطب الجمعة في يوم الأسراء والمعراج ، تولي الشيخ أو السيد محمد الغنيمي التفتازاني مشيخة السجادة الغنيمية التفتازانية عام ١٩٠٩ .

وقد ربى السيد محمد الغنيمي ابنه (أبو الوفا) تربية حسنة حتي نال الابتدائية وبدأ تعليمه في المرحلة الثانوية وكانت وفاة الوالد في يناير ١٩٣٦ صدمة شديدة للأبن الصغير الذي أكمل تعليمه معتمداً علي نفسه وذكائه حتي نال الليسانس في الآداب من قسم الفلسفة بجامعة فؤاد (القاهرة فيما بعد) ١٩٥٠ بتقدير جيد جدًا ثم الماجستير في سبتمبر ١٩٥٥ عن رسالته «ابن عطاء الله السكندري وتصوفه» ثم الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولي برسالته «ابن سبعين وفلسفته الصوفية» . وفي حياته العملية عمل مدرسًا بمدرسة فؤاد الأول الثانوية بالعباسية . ثم معيداً فمدرسًا بقسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة القاهرة وفي أثناء عمله معيداً ندب مدرسًا في معهد الدراسات الإسلامية بمنتريال بكندا لمدة عام وكان معه في هذه الرحلة العلمية المرحوم الدكتور محمد البهي رحمه الله ، ثم عمل الدكتور أبو الوفا التفتازاني أستاذًا مساعداً فأستاذًا للفلسفة الإسلامية في المقعد الذي كان يشغله من قبل الشيخ مصطفي عبد الرازق ثم الدكتور محمد مصطفي حلمي ،ثم عين وكيلاً للآداب بالقاهرة فعميداً لكلية التربية بالفيوم فنائبًا

لرئيس جامعة القاهرة لشئون فرع الفيوم وبني سويف فنائبًا لرئيس الجامعة لشئون الدراسات العليا والبحوث وتخرج علي يديه جيل جديد من حملة الماچستير والدكتوراه وأصبحت له مدرسة علمية متميزة في مجال الفلسفة الإسلامية والتصوف وهي مدرسة تجمع بين القديم والحديث لبناء الثقافة وتنقية التراث الفلسفي الإسلامي وربطه بالفكر الحديث والمعاصر . وأسهم الدكتور أبو الوفا في إنشاء مركز للبحوث والدراسات الإسلامية بجامعة القاهرة كما أسهم في أعمال علمية جامعية كثيرة بجامعة بيروت العربية وجامعة الكويت وقطر وليبيا وغيرها . .وتعد مؤلفات وبحوث ومقالات الدكتور أبو الوفا التفتازاني بالعربية والإنجليزية أسهامًا كبيرًا في مجال الفلسفة الإسلامية والتصوف . . . وقد ساعدت الكثيرين من الدارسين في بحوثهم لنبيل الماچستير والدكتوراه في مختلف جامعات العالم .

وشغل الدكتور أبو الوفا مقاعد في المجلس الأعلي للشئون الإسلامية والمجلس الأعلي للجامعات والمجالس القومية المتخصصة والمجلس القومي للتعليم والبحث العلمي والمجلس الأعلي للطرق الصوفية في مصر ومشيخة الطرق الصوفية في مصر عام ١٩٨٣ والمجلس العالمي للمؤتمر العالمي للدين والسلام في نيوريوك والمجلس الإستشاري للاكاديمية الإسلامية بكمبردج ولجنة الدعوة الإسلامية للأزهر وجمعية الدراسات الإسلامية

بالقاهرة ومجلس الإدارة بمعهد الدراسات الإسلامية فى القاهرة وأختير عضواً معينًا في مجلس الشوري . وزار العديد من الدول العربية والإسلامية والغربية ونال وسام الإمتياز من الرئيس الباكستاني عام ١٩٨٩ كما نال الجائزة التقديرية عام ١٩٨٥ إلي العديد من المؤتمرات العلمية التي حضرها في مصر وفى مختلف أنحاء العالم وكتبت عنه الصحف تصفه بالفيلسوف المصري الإسلامي الحديث والمتصوف الوحيد الذي جمع بين أستاذية الفلسفة الإسلامية والتصوف في جامعة القاهرة ورئاسة الجمعية الفلسفية المصرية والمشيخة الكبري للطرق الصوفية في مصر والداعية إلي توحيد وتأكيد العلاقة بين التصوف والفلسفة والعلاقة الثلاثية بين الفلسفة والدين والفكر العلمي العقلاني والعلاقة الثلاثية بين الفكر والتصوف والفكر الفلسفي الإسلامي ... إنها لصفحات مجيدة وأعمال مضيئة وسيرة عطرة لشخصية علمية وإسلامية كبيرة في عصرنا هي شخصية الأستاذ الكبير والجامعي الأصيل الدكتور أبو الوفا التفتازاني الذي رحل عنا إلى عالم الخلود في يونيو من عام ١٩٩٤ بعد حياة حافلة استمرت ٦٤ عامًا قضاها فى خدمة الثقافة والبحث والمعرفة .



ابن الفارض

شاعر الحب الإلهي

٥٧٦ - ٦٣٢ هـ

١- هو الإمام أبو حفص عمر بن علي بن المرشد الحموي أصلا المصري مولداً :

عاش في العصر الايوبي (٥٦٧ - ٦٤٨ هـ) بأحداثه ، وشاهد أطرافا من القرن السادس والسابع الهجري حيث الكفاح ضد الغزو الصليبي للعالم الإسلامي ، وقد شاهد النهضة الصوفية الكبري ، وأعلام التصوف الإسلامي الذين حفل بهم عصره .

قدم والده من حماة ، وعاش في مصر يعمل في إثبات فروض النساء علي الرجال بين يدي الحكام ، فلقب «الفارض»، وولد له ابنه عمر ، حيث نشأ في كنف أبيه في عفاف وصيانة وعبادة وديانة ، ودرس الفقه الشافعي والحديث ، ثم حبب إليه الخلاء وسلوك طريقة الصوفية ، فزهد وتجرد ، في ناحية سفح جبل المقطم ، وقد اعتزل والده كذلك الناس وترك الوظيفة ،

---

(١) راجع عنه : ٢٢١ : ١ حسن المحاضرة ، ٤٥ : ٢ قصة الأدب في مصر للمؤلف الجزء الثاني ، الحركة الفكرية في مصر ص ١٢٣ . وفيات الأعيان لابن خلكان ١: ٤٨٣ - ١٤٩ : ٥ شذرات الذهب ، ابن الفارض والحب الالهي ، التصوف الإسلامي لعمر فروخ ، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي لأنيس المقدسي ، التصوف الإسلامي لزكي مبارك (١ : ٢٩٠) وغير ذلك ..

ورفض منصب القضاء ، وتفرغ للعبادة بقاعة الخطابة في الجامع الأزهر وظل كذلك إلي وفاته .

٢ - وسافر ابن الفارض إلي مكة فأقام بها خمسة عشرعامًا، ثم عاد إلي مصر ولكنه سافر مرة أخري للحج وعاد .

وفي مكة اتصل ابن الفارض بالسهر وردي البغدادي (المتوفي عام ٦٣٢ هـ) ومحيي الدين بن عربي (المتوفي عام ٦٣٨ هـ).. ولما سئل ابن الفارض أن يضع شرحًا لتائيته ، قال - علي ما يروي - إن شرحها هو الفتوحات المكية[1] ، ويقال إن الذي سأله هو ابن عربي ، ويري الدكتور عبد اللطيف حمزة أنه تأثر بنظرية الحلول عند الحلاج ، تأثره بالأفلاطونية الجديدة[2] ، وهذا غير صحيح فقد كان أقرب إلي مذهب «وحدة الشهود» :

وطاح وجودى فى شهودى وغبت عن وجود شهودى ماحيا غير مثبت

وتوفي ابن الفارض عام ٦٣٢ هـ ، ودفن بالقرافة بسفح المقطم ، وديوانه مشهور ذائع ، وأشهر شراحه الشيخ حسن البوريني المتوفي عام ١٠٢٤هـ والشيخ عبد الغني النابلسي المتوفي عام١١٤٣هـ . . . وتائية ابن الفارض الكبري تحتوي علي ٧٦٢ بيتا .

(١) عدد ٤ المجلد الأول دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) ١٢٦ الحركة الفكرية .

٣- وابن الفارض من أشهر الشعراء المصريين المتصوفين إطلاقًا ، وتائيته تحدد خصائص تفكيره الصوفي ، ومن تائيته الفريدة :

فكل الذي شاهدته فعل واحد   بمفرده لكن بحجب الأكنة

إذا ما أزال الستر لم تر غيره   ولم يبق بالأشكال إشكال ريبة

وحققت عند الكشف أني بنوره   اهتديت إلى أفعاله في الدجنة

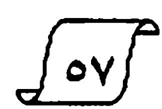
وقصيدة ابن الفارض اليائية كذلك من أشهر قصائده ، وهي من الرمل وقد نظمها الشاعر وهو مقيم في الحجاز ، ومطلعها :

سائق الأظعان يطوي البيد طي   منعما عرج علي كثبان طي

وهي مشهورة بين الأدباء والنقاد ، وافتتح بها ديوان ابن الفارض تأكيداً لمنزلتها من شعره ، وتبلغ نحو الخمسين والمائة بيتًا، ويروي أن الملك الكامل الأيوبي كان «يحب أهل العلم ويحاضرهم في مجلس مختص بهم ، وكان يميل إلي فن الأدب ، فتذكروا يوما في الشعر أصعب القوافي ، فقال الكامل : من أصعبها الياء الساكنة ، فمن كان منكم يحفظ شيئًا منها فليذكره ، فتذاكروا في ذلك فلم يتجاوز أحد منهم عشرة أبيات ، فقال الكامل : أنا أحفظ منها خمسين بيتا قصيدة واحدة وذكرها ، فاستحسن

---

(١) ٩ ، ١٠ جـ١ شرح ابن غالب لديوان ابن الفارض المطبعة الخيرية بالقاهرة .



الحاضرون ذلك ، فقال القاضي شرف الدين كاتب سر الملك : أنا أحفظ منها مائة وخمسين بيتا قصيدة واحدة ، فقال الكامل : يا شرف الدين ، ةجمعت في خزائني أكثر دواين الشعراء في الجاهلية والإسلام ، وأنا أحب هذه القافية ، فلم أجد فيها أكثر مما ذكرته لكم ، فأنشدني هذه الأبيات التي ذكرت ، فأنشده يائية ابن الفارض ، فقال الكامل : يا شرف الدين ، لمن هذه القصيدة، فلم أسمع بمثلها ، فقال : هذه من نظم الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض ، فذهب الكامل لزيارته حيث كان يعتكف في قاعة الخطابة الأزهر الشريف ، فخرج الشيخ من الجامع وسافر إلي ثغر الإسكندرية أيامًا ثم رجع إلي الجامع الأزهر مريضًا واستأذنه الكامل أن يبني له خلوة بقبة الشافعي فاعتذر .

٤ - وكان من أصحاب المذهب الرمزي في شعره الذي نحا فيه منحي كبار الصوفية وأكثر فيه من صنعة البديع ، مع الإجادة والرقة وطول النفس ، والاتكاء علي مصطلحات الصوفية ورموزهم ، وقد اشتهر شعره بين الأدباء والشعراء والنقاد والصوفية والمستشرقين ، وشرح ديوانه : حسن البوريني (١٠٢٤ هـ) وعبد الغني النابلسي (١١٤٣ هـ) ، وشرحه كذلك رشيد بن غالب شرحًا من الشرحين المذكورين .

وشعر ابن الفارض مملوء باصطلاحات الصوفيين ومواجدهم وعشقهم والامهم وأطماحهم وأحوالهم من وجد وسكر وصحو

وهوي وشطح وتجـريد ، وغيـر ذلك من قصص حـبهم العـذري الروحي الخالص . . ويعد ابن الفارض أشعر الشعراء الصوفيين .

ويغلب علي شـعر ابن الفارض أسلوب عـصره ، عـصر : القاضي الفاضل والعماد الأصبهاني ، وابن النبيه ، والبهاء زهير، وابن سناء الملك ، وسـواهم فهـو يحب الصناعة الـبديعـية حـبًا شديدًا ، من جناس وطبـاق ومقابلة وطي ونشر ومـشاكلة وتورية وغيرها ، ويمتـاز أسلوبه بلطف العبارة والإشـارة وحلاوة الجرس ودقة الوصف والتشبيه والتمثيل .

ومن ميزات شعره اعتـماده علي الرمز ، بما يؤدي إليه الرمز من غـموض لبـعد إشـاراته وشطحاته أحـيانًا ، مع تعـسفـه في الصناعة البديعية اللفظية في أحيان كثيرة .

وقد بـلغ ابن الفارض بالشـعر الصـوفي الذروة ، وأوفي به علي غاية الإحـسان والإجادة ، ونظم منه قـصائده الطوال ، التي وقـفـهـا علي الحب الإلهي ، ومـلأها بمـصطلحـات السـالكين والواصلين ، بل إن ديوانه كله وقف علي هذا الشـعر الصوفي لا يتعداه إلي غيره ، ولا يسلك بالشعـرفنا آخر ، ولا غرضًا غيره ، ولاشك أن لعصره وبيئته وأسرته ونشـأته وميوله وروحه أثرًا كبيرًا في كل ذلك ، ولذلك عد ابن الفارض إمام الشعراء الروحيين .

وابن الفارض هو السـابق في ميـدان الحب الإلهي . . فلقد

ظهر الغزل الحسي عند الشعراء . . وفي عصر بني أمية ظهر الغزل العذري علي يدي جميل ومجنون ليلي وأضرابهما ، كما ظهر الغزل القصصي علي يدي عمر بن ابي ربيعة - ثم ظهر الغزل في الحب الإلهي علي يدي ابن الفارض (٦٣٢ هـ) ثم محيي الدين ابن عربي (٦٣٨ هـ) ثم الششترى الأندلسي (٦٨٨ هـ) وانتقل هذا اللون إلي الشعر الفرنسي والأسباني فظهر رامون لول الشاعر الأسباني (نحو ٧١٤هـ) وكان ملمًا بالثقافة العربية كما انتقل شعر الحب الألهي إلي الشعر الفارسي والتركي ، وشاع الغزل الغنائي في القرن السادس عشر وأدي إلي ظهور الرومانسية في القرن التاسع عشر .

ويقول نللينو : لم يكن ابن الفارض فيلسوفًا من فلاسفة وحدة الوجود بل كان شاعرًا صوفيًا مؤمنا معرقاً في الإيمان وليست قصيدته التائية الكبري إلا تعبيراً عن ذوقه الشخصي .

نسخ ابن الفارض آية العشق من قبله ، حتي أصبح من حقه أن ينادي كل من يأتي من بعده بأن يقتدي به ويهتدي ، فأصبحت قصائده هي على ألسنة المنشدين ، ومن من المحبين المتذوقين العارفين ، لم يهتف مع ابن الفارض في حبه «إن الغرام هو الحياة»؟ :

إن الغرام هو الحياة فمت به   صبا فحقك أن تموت وتعذرا

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا سر أرق من النسيم إذا سري

وأباح طرفي نظرة أملتها فغدوت معروفًا وكنت منكرًا

فدهشت بين جماله وجلاله وغدا لسان الحال عني مخبرا

فأدر لحاظك في محاسن وجهه تلقي جميع الحسن فيه مصورًا

لو أن كل الحسن يكمل صورة ورآه ، كان مهللا ومكبرًا

ومن منا لم يتذوق تلك الأغرودة السامقة في توحيدها ومواجيدها وإلهاماتها :

أنتم فروضي ونفلي أنتم حديثي وشغلي
يا قبلتي في صلاتي إذا وقفت أصلي
جمالكم نصب عيني إليه وجهت كلي
وسركم في ضميري والقلب طور التجلي
آنست في الحي ناراً ليلا فبشرت أهلي
قلت : امسكوا فلعلي أجد هداي ، لعلى
دنوت منها فكانت نار المكلم قبلى
نوديت منها كفاحًا (١) ردوا ليالي وصلي
حتي إذا ماتداني الـ ـميقات في جمع شملي
صارت جبالي دكا من هيبة المتجلي
ولاح سر خفي يدريه من كان مثلي
وصرت موسي زماني وصار بعضي كلي

إن كل شيء في الوجود يذكره برب الوجود ، ويدفع به إلي

١- كفاحًا : وجهًا لوجه .

الإيمان كما يدفع به إلي الهيام :

تراه – إن غاب عني – كل جارحة في كل معني لطيف رائق بهج

وفي نغمة العود والناي الرخيم إذا تآلفا بين ألحان من الهزج

وفي مسارح غزلان الخمائل في برد الأصائل والإصباح في البلج

وفي مساقط أنداء الغمام علي بساط نور من الأزهار منتسج

وفي مساحب أذيال النسيم إذا أهدي إلي سحيراً أطيب الأرج

لم أدر ما غربة الأوطان وهو معي وخاطري ، أين كنا غير منزعج

٥- والتائية الكبري لابن الفارض أحدثت من الدوي ما أحدثت ، ومن شراحها البوريني والنابلسي ، ولا تزال تحدث دويها في المحافل الصوفية ، والأندية الأدبية ، ولقد ترجمت إلي الفرنسية والإنكليزية والأسبانية ؛ ووضع المستشرقون لها الشروح والتعقيبات واعتبرت لديهم من أغلي الكنوز الصوفية في التاريخ الإسلامي ، يقول نيكلسون : «لم يقم في العرب قبل ابن الفارض مثيل له ، ولم يعرف بعده له ضريب» ويقول : «لقد أعطي العرب في الشعر الصوفي الجزية عن يد وهم صاغرون للشعراء الفرس حتي جاء ابن الفارض فاسترد الجزية» .

ومن شعره قصيدته الخمرية الميمية ومطلعها :

شربنا علي ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

وقد أخطأ كليمان هيوار المستشرق الفرنسي في عد خمريات ابن الفارض ذات دلالة صادقة علي حبه المادي للخمر ، وعلي أنه كان شاعراً خمريا (١) ، ورد عليه نيكلسون في قوة وعمق (٢) .

ويؤيد «إنجه» كلام هيوار فيري أن الصوفيين حاولوا أن يضيفوا صبغة رمزية قدسية علي شهواتهم المادية . (٣)

وتاريخ ابن الفارض الروحي ينفي ما ردده مثل هؤلاء المستشرقين الذين يشكون في قيم الإسلام والمسلمين الروحية ، وحكي برهان الدين الجعبري أحد الأولياء المعاصرين لابن الفارض حكاية احتضار الشاعر الصوفي المصري فقال : رأي الجنة قد تمثلت له ، فلما رآها قال : آه ، وصرخ وبكي بكاء شديداً وتغير لونه ، وقال :

إن كان منزلتي في الحب عندكم   ما قدرأيت فقد ضيعت أيامي

أمنية ظفرت روحي بها زمنًا   واليوم أحسبها أضغاث أحلام

فقلت له : يا سيدي هذا مقام كريم، فقال : يا إبراهيم ، رابعة يقول : وهي امرأة : وعزتك ما عبدتك خوفاً من نارك ،

١- ١٠ الحب الإلهي في التصوف الإسلامي - محمد مصطفي حلمي

٢- ص ١١ المرجع .

٣- ص ١١ أيضًا من المرجع السابق .

ولا رغبة في جنتك ، بل كرامة لوجهك الكريم ، ومحبة فيك[1]، وليس هذا المقام الذي كنت أطلبه . وقضيت عمري في السلوك إليه . . . وكان ابن الفارض يحدث أنه أحب أول ما أحب الصور المقيدة ، والمظاهر الممثلة ، ثم أخذ حبه يترقي شيئًا فشيئًا ، وأخذت نفسه تصفو رويداً رويداً ، حتي خرج بحبه وقلبه من مجال الحسن المقيد إلي رحاب الجمال المطلق الذي شهد فيه هذا الجمال المطلق في كل معني من المعاني ، وفي كل مجلي من المجالي [2]

(١) كانت رابعة إذا صلت العشاء قامت علي سطح لها ، وشدت عليها درعها وخمارها ، ثم قالت : إلهي أنارت النجوم ، ونامت العيون ، وغلقت الملوك أبوابها ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وهذا مقامي بين يديك . ثم تقبل علي صلاتها ، فإذا كان وقت السحر ، وطلع الفجر ، قالت : إلهي هذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر ، فليت شعري ، أقبلت مني ليلتي فأهنأ ، أم رددتها علي فأعزي ، فوعزتك هذا دأبي ما أحييتني وأعنتني ، وعزتك لو طردتني عن بابك ما برحت عنه لما وقع في قلبي من محبتك ، ثم أنشدت :

يا سروري ومنيتي وعمادي ... وأنيسي وعدتي ومرادي
أنت روح الفؤاد أنت رجائي ... أنت لي مؤنسي وشوقك زادي
أنت لولاك يا حياتي وأنسي ... ما تشتت في فسيح البلاد
كم بدت منة وكم لك عندي ... من عطاء ونعمة وأيادي

(٢) في الجمال المطلق والجمال المقيد يقول ابن عربي : إن محبي الصور الكونية يتعشقون الكون في حين أن محبي الذات الإلهية العلية يتعشقون العين والشروط واللوازم والأسباب في كل من الحبين واحدة .

ويدعو ابن الفارض إلي الجمال المطلق فيقول :

وصرح بإطلاق الجمال ولا تقل بتقييده ميلا لزخرف زينة

فكل مليح حسنه من جمالها معار له ، بل حسن كل مليحة

بها قيس لبني هام بل كل عاشق كمجنون ليلي أو كثير عزة

فكل صبا منهم إلي وصف لبسها بصورة حسن لاح في حسن صورة

وماذاك إلا أن بدت بمظاهر فظنوا سواها وهي فيها تجلت

وهكذا وقف ابن الفارض شعره علي التصوف والعشق الإلهي، وأكثر فيه من الغزل ونعت الخمر علي مذهبه في الحب الإلهي ، ولذة الوصل الروحي .

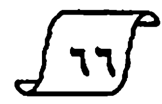


أدب مصر القديمة

الدكتـور عطية عـامر يقـدم لنا كتـابًا نفيسًـا بعنوان «الأدب الفرعوني» ، وهـو نصوص رائعة من أدب مصر القـديمة ، تشغل نحو الأربعـمائة صفحة ، وتقـدم لنا زادًا كبيرًا من المعـرفة للإلمام بفكر مصر الأدبي في عصورها المختلفة القديمة :

- عصر مـا قبل العصر القـديم ويضم أدب الأسرة الأولي والثانية .
- العصر القديم عصر الأسر المالكة (٣-٨) .
- العصـر المتوسط ويضم أدب الأسـرتين ٩ ، ١٠ ونصف الأسرة الحادية عشرة .
- العصر الوسيط أدب (١١ - ١٤) .
- العصر الهكسوسي ، أدب الأسر (١٥ - ١٧) .
- العصر الحديث ويضم أدب الأسرة (١٨ - ٣٢) .

وهذه العصور تمتد ٢٧٦٨ عامًا من (٢٦٥٠ ق.م - ١١٨م) وهو أدب وصلنا مكتوبا علي أوراق البردي وعلي الخزف والجلود والكثير منه منقوش علي الحجارة وجدران المعابد والقبور.

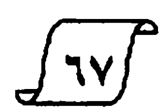


ويحدثنا الدكتور في كتابة عن تاريخ المعرفة بهذا الأدب ، وعن أقسام عدَّة من النصوص أوردها في الكتاب :

- نصوص الأدب الديني ، ومنه نص قصير من كتاب الموتي.
- نصوص أدب الحكمة والوصايا والنصائح والأمثال .
- نصوص من فن الكتابة وفيه نصوص تعالج فن الكتابة والأدب والنثر .
- نصوص من الشعر الغنائي .
- الحوليات ، وفيها نصوص تدور حول الفخر والترجمة الذاتية وشعر الغزل ونشيد رائع للنيل ونموذج من الحوليات .
- والكتاب لايقتصر علي الشعر ولا علي النثر وحدهما ، بل يشملها جميعًا .

وتبدو في الكتاب روح مصر وحضارتها وشخصيتها بوضوح، وقد قدمت مصر للعالم أعظم عمليات ثقافية ابتدعتها البشرية كما يقول هوفمان ، ويؤكد بأن مصر أصل الحضارة والدولة.

ويذكر المؤلف أن الشاعر المسرحي ايريبيد صحب أفلاطون



في رحلتـه إلي مصـر ، ولما شكا من بعض المرض قـال له بعض الكهنة في عين شمس إن دواك يوجـد في مياه النيل لأنهـا تشفي جـميع الأمـراض ، فشـرب من مـياه النيل ، فـزال عنه المرض وعادت إليه صحته .

وفي المقدمة يذكر المؤلف أن العالم الفـرنسي روجيه قام عام ١٨٥٢ بدراسة مخطوطة عن الأدب الفرعـوني تضم مجموعة من القصص القصيرة .

وفي عام ١٨٧٢ صدر لماسبيرو كتاب بعنوان : أدب الرسائل عند المصريين ، وبعد عشر سنوات اصدر كـتابه «القصص الشعبية في مصـر القديمة» وترجـم عام ١٩١٢ «نشيـد النيل» وطبـعه في القاهرة .

وأصدر الأسـتاذ الألماني مولر كتـابه شعر الغزل عند قـدماء المصريين عام ١٨٩٩ - كما أصدر فـيدمان الألماني كتابه «حكايات وقصص مصر القديمة» عام ١٩٠٦ .

وأصدر عام ١٩٤٢ الأستاذ دريوتون كتابه «المسرح المصري»، وفي عام ١٩٤٩ أصدر في لندن الأسـتاذ «موري» كتـابه « الشعر الديني المصـري » ، وأصـدر جلبيـر البلچـيكي كـتـاب «الشعـر المصري»، وأخـرج «هرمان» كتابة شـعر الغزل في مصـر القديمة عام ١٩٥٩ . وأصـدر عام ١٩٦٢ الدكتـور أحمد عـبد الحمـيد

يوسف كتاب «في الأدب المصري القديم» ؛ وأصدر كمال الدين الحناوي كتاب «أساطير فرعونية» مترجمًا ، وأصدر برشياني الإيطالي كتابه «أدب وشعر مصر القديمة» . وأصدر للأستاذ ليشتهيم كتاب «أدب مصر الفرعونية» .

إلي غير ذلك من مختلف الكتب التي كتبها الأثريون والعلماء عن الأدب المصري القديم .

وتبدو أهمية الكتاب في النصوص الأدبية التي اشتمل عليها شعرًا ونثرًا ، من مثل - حوليات تحتمس الثالث - قصيدة للملك نفسه - قصيدة عن أبي الهول للملك امينحوتب الثاني - قصيدة لشاعر مجهول عن خلود الكاتب - نصوص عن فن الكتابة - نصيحة تحتمس الثالث لوزيره - أحزان مواطن مصري للشاعر أيبوور - وصايا امينحوتب الأول إلي أبنائه - وصايا بتاح حوتب - قصائد للشاعر باحيرى .

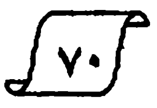
- وسوي ذلك من نصوص في غاية الأهمية. . . إن المؤلف قد قدم لنا زادًا وفيرًا من الأدب المصري القديم ، نحن في أمس الحاجة إلي الإطلاع عليه ؛ وهو إضاءة لحضارة مصر وفكرها وشخصيتها من قديم الزمان .

في حياة ابن خلدون يتلاقي التأثير العربي المشرقي والمغربي والأندلسي والمصري تلاقيا عجيبًا .

فقد عاش بتاريخ أسرته الحياة العربية كاملة ؛ وعاش في المغرب والأندلس أحداث حياته ستين عامًا من حياته ، وعاش في مصر أربعة وعشرين عامًا ، وهذا كله مما جعل الوجدان العربي في نفسه متناغمًا وشديد الاحساس وكبير التجربة ، وبين ٢٧ مايو ١٣٢٢ و١٦ مارس ١٤٠٦م عاش ابن خلدون حياته القلقة في جوانبها السياسية الاجتماعية والعائلية .

فالمغرب العربي في عصره كان في اضطراب سياسي شديد ، ونزاع مستمر بين الأسرات المالكة فيه : بين الحفصيين والمرينيين بوجه خاص ، ومملكة غرناطة في الأندلس تعيش حياتها محاصرة بجيوش الأسبان ، وأسرة عبد الوديد في تلمسان والأمراء في قسطنطينة وفي بسكرة وغيرهما في حروب متصلة .

وأسرته وكثير من أساتذته وأصدقائه قضي علي معظمهم الوباء الذي حل بتونس . والمجتمع المغربي يعيش في فقر وحرمان، وإن كان ابن خلدون قد عاش في قمة هذا المجتمع سياسيًا ودبلوماسيًا ورجل دولة وعالمًا وأديبًا .



وينتقل ابن خلدون إلي القاهرة في الخامس من فبراير ١٣٧٢م ، ويقول عنها : رأيت حضرة الدنيا ، وبستان العالم ومحشر الأمم ، وإيوان الإسلام ، وكرسي الملك ، ويقول : من لم ير القاهرة لم ير عزة الإسلام .

ويلقي ابن خلدون تيمور لنك المغولي في دمشق ، وينجو من بطشه ، ويقضي ابن خلدون أربعا وعشرين سنة من حياته في القاهرة استاذًا في الأزهر ، وشيخًا من شيوخ رواق المغاربة فيه ، وقاضيًا للمالكية ورئيسًا للمدرسة المالكية في مصر الفسطاط ، ويراجع تاريخه «العبر» ومقدمة هذا التاريخ وهو في القاهرة حيث كتب فصولها الأخيرة ، ووضعهما في صيغتهما النهائية . وهذا التاريخ يؤرخ للعالم ولدول الإسلام حتي عصره ، أي إلي اخر القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي .

وحياة ابن خلدون في جامعة الزيتونة الإسلامية طالبًا يدرس علوم الدين والشريعة والتاريخ فيها ، وحياته في الأزهر أستاذًا جليلاً . . مما كان يمكن أنه يحدد تفكيره العلمي ، ولكن ابن خلدون المفكر والعالم نزع إلي الفلسفة ، وكتب في مقدمته فصولاً جديدة وضع بها لأول مرة في تاريخ الفكر العالمي علم الاجتماع ، وسبق بذلك جميع علماء الاجتماع في أوروبا .

وابن خلدون مفكرًا إسلاميًا كان يؤلمه أشد الألم ضعف الأمم الإسلامية في عصره ، ويري في مصر ومكانتها السياسية

والإسلامية في العالم بعد انتصارها الساحق علي التار منقذا الإسلام والمسلمين من كل ما نزل بهم ، وكان يكتب بروح المفكر يدعو المسلمين إلي القوة وإلي متابعة سيرتهم الحضارية وسيادتهم السياسية ، وعاش ومات وهو يحلم بمجد حقيقي للمسلمين .

وقد كتب عبد الرحمن بن خلدون مقدمته لتاريخ العرب والبربر قبل حوالي ٦٠٠ سنة . ونحن اليوم نجد أن أفكاره - رغم مرور هذا الزمن الطويل - لا تزال تحتفظ بأهميتها وطابعها الحيوي بالنسبة للمشاكل الإنسانية في الوقت الحاضر . لقد كان ابن خلدون عبقرية في ذكائه وكان غزير العلم وافره ، ولم يكن في عزلة فكرية عن مجتمعه ، بل استطاع أن يوفق بين ما افاده من قراءاته الواسعة وبين مراقبة الشئون الإنسانية مراقبة دقيقة .

لقد اسهم ابن خلدون في مجري الحياة العامة ، فانفق في المغرب السنوات الأحدي والعشرين الأولي من حياته العملية ، وانخرط في خدمة سبع دول تبدأ من وطنه الأصلي تونس حتي غرناطة في الأندلس .

ونجده في السنوات الأربع والعشرين الأخيرة من حياته يعمل في القاهرة في منصب قاضي القضاة لمدرسة الفقه الملكية .

وتميزت هاتان الفترتان من حياته بالقلق النفسي والاضطراب وعدم الاستقرار ، فقد عين وهو في القاهرة ست مرات في ذلك

المنصب الكبير - أي قـاضيًا للقضاة - ثم عـزل عنه خمس مرات أيضًا ولكنه كان لا يزال يشغل ذلك المنصب حـينما حضرته الوفاة وقد اجـتمع مرة في مـدينة اشبيليـة بيطرس القاسي ملك قشـتالة وتحـدثا معـا فتـرةمن الزمان . ومـن الطريف أن نذكر ان مـدينة اشـبيليـة هي الموطن الأصلي لعـائلة ابن خلدون ، ويجتـمع ابن خلدون في السنوات الأخـيـرة من حيـاته اجـتمـاعًـا رهيبًـا مع تيمورلنك في دمشق .

ولـم يتمتع ابن خلدون طوال حـياته المديدة إلا بأربع سنوات من الهدوء والطمأنينة . فقد حل ضيفًا علي قبيلة عربية تسكن في بادية تلمسان . وفي هذه الفتـرة القصيرة من حياته كتب مـقدمته الشهيرة التي رفعته بجدارة إلي مصاف الخالدين في التاريخ .

كان تاريخ أسرة ابن خلدون مـفعمًا بالأحداث المهمـة . فقد انحدرت أسـرته أصلا من حـضر موت وكـان أجداده عند فـتوح سوريا ومناجزة الأمبراطورية البـيزنطية ضمن الأجناد التي رابطت علي الحدود الشرقية لسـوريا . وعند فتوح الأندلس ارسل أجداده مع جند سوريا للجـهاد في أسبانيـا فاستقـروا عند ذاك في مدينة أشبيلية . ولكن تعود عائلة ابن خلدون فتنزح من أشبيلية وتستقر نهائيًـا في تونس وذلك قبـيل الاحتـلال القشتـالى لاشبـيلية بمدة قصيرة وقبل ميلاد عبد الرحمن نفسه بحوالي قرن من الزمان .

ونجد أن تاريخ عائلة ابن خلدون له أثر كبـير في تفكيره فقد



جعله يهتم أهتمامًا خاصًا بمرحلتين مهمتين في تاريخ الأمة العربية وتاريخ المسلمين خاصة : المرحلة الأولي فتوح سوريا والمغرب والأندلس ، والثانية تدهور الحضارة العربية الإسلامية في المغرب . وكان ابن خلدون يحس بهذا التدهور احساسًا عميقًا ويدلل علي ذلك بنقص عدد السكان في المغرب وباطلال القري والمدن المهجورة فيه . ثم يفتش عن السبب في كل هذا ويعثر عليه . إذ اجتاجت بلاد المغرب موجة تخريبية قبل أيامه بثلاثة قرون ونصف عندما دهمتها الغزوة العربية الثانية وهي تغريبة بني هلال وبني سليم في القرن الخامس الهجري .

إن الغزوة العربية الأولي - بعكس الغزوة الثانية - قد جاءت في اعقابها فترة من الرخاء المادي والانتعاش الثقافي . وهنا يتساءل ابن خلدون لماذا اسفرت هاتان الغزوتان للمغرب عن نتائج مختلفة متباينة ؟ هذا هو السؤال الذي وطد مؤرخنا العزم علي الإجابة عنه في مقدمته . وقد أخذه البحث عن جواب له إلى ماوراء تاريخ المغرب أي إلي تاريخ الإنسانية جمعاء .

ويبحث ابن خلدون في مقدمته عن الأسباب العامة لازدهار النظم السياسية والأسباب العامة لسقوطها ويقف طويلاً أمام التيارين الأساسيين في صدر الإسلام تيار البداوة وقيمتها ، وتيار المبادئ والمثل الإسلامية ، حيث إن تاريخ العرب أعتمد إلي حد كبير علي مدي تأثير كل منهما في الحياة العامة ، وينتهي ابن

خلدون إلي أن قيام أي كيان للعرب لا يحصل إلا بالإسلام ، وإن إهمال الإسلام يعني زوال الملك وتدهور لحضارة (المقدمة ٢٦٨ -٩) .

وإذا كان الإسلام روح الحضارة العربية عند ابن خلدون ، فإن العربية هي إطارها الثقافي . فالأخذ عن الحضارات القديمة يعني نقل علومها إلي العربية ، وهذا ما حصل حتي أصبحت العلوم كلها بلغة العرب (المقدمة ٥٣-١) والعربية هي لغة الثقافة، بل إن دور الناس في العلوم يتناسب وتمكنهم منها ، فالتعريب فى نظره تمهيد لازم للمشاركة في الحضارة الإسلامية .

ولكن ابن خلدون قلق وغير واضح في تبين دور العرب الحضاري ، أذ يبدأ بأن العرب عند الفتح كانوا في طور بداوة ، وأن (الصنائع منتحل الحضر ،والعرب أبعد الناس عنها فصارت العلوم لذلك حضرية وبعد العرب عنها وعن سوقها) ؛ ثم يبين مفهومه لحضر تلك الفترة بقوله (والحضر لذلك العهد هم العجم أو من في معناهم من الموالي وأهل الحواضر الذين هم تبع للعجم في الحضارة وأحوالها من الصنائع والترف (المقدمة ٤٧-١) ، ومعني ذلك عنده أن الحضر آنئذ هم الشعوب المستقرة من فرس وغيرهم. . .



محمد اقبال
رائد تجديد الفكر الدينى

-١-

ها هي ذي الذكري الثانية والستين لوفاة شاعر الإسلام والإنسانية محمد إقبال - رحمه الله رحمة سابغة ؛ ورفع منزلته في رحاب النعيم ، وأعلي مكانته في الخالدين .

في الحادي والعشرين من إبريل عام ١٩٣٨ ودع إقبال الحياة بعد أن بلغ من المجد وذيوع الصيت ما لم يبلغه شاعر أو مفكر في عصره ؛ وبعد أن ردد الشرق والغرب شعره وفكره ، وأصبح شاعر الشرق ، وصاحب دعوة التجديد والبناء والفكر الديني الإنساني المستنير ؛ وكانت وفاته قبل قيام دولة باكستان بتسعة أعوام .

نعي محمد علي جناح رئيس الرابطة الإسلامية بالهند آنذاك الشاعر إقبالا فقال :

«كان إقبال ، شاعراً منقطع النظير ، طبق صيته الآفاق ، وستبقي كلماته حية أبدا ، وإن مساعيه لأمته وبلده لتضعه في صف أكبر عظماء الهند ، وإن وفاته اليوم لخسارة كبيرة لأمته



بعامة وللمسلمين بخاصة . . . » .

وكتب القائد الأعظم إلي ابن إقبال يعزيه في وفاة أبيه :

لقد كان والدك لي صديقًا ومرشدًا وفيلسوفًا ؛ وكان في أحلك الساعات التي مرت بالرابطة الإسلامية كالصخرة ، لم يزلزل لحظة واحدة .

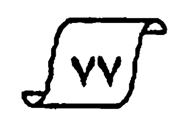
ورثاه طاغور شاعر الهند فقال :

لا ريب عندي أن ما ناله شعر إقبال من قبول وصيت يرجع إلي ما فيه من نور الأدب الخالد وعظمته ، ويقيني أني وإقبالاً عاملان للصدق والجمال في الأدب ؛ ونحن نلتقي حيث يقدم القلب الإنساني والعقل إلي عالم الإنسانية أجمل هداياهما وأروعها . لقد تركت وفاة إقبال في أدبنا فراغًا لن يملأ إلا بعد مدة طويلة ، وإن موت شاعر عالمي كهذا مصيبة لا تحتملها بلادنا.

وعاش طاغور بعد إقبال ثلاثة أعوام ، حيث توفي في السابع من أغسطس عام ١٩٤١ . .

-٢-

وبحسب إقبال مجدًا وفخارًا أنه قد كان هو المؤسس الروحي لباكستان ، فلقد أفضي بحلمه في إنشاء دولة إسلامية في الهند لأول مرة ، حيث رأس مؤتمر حزب الرابطة الإسلامية في الهند



عـام ١٩٣٠ ، وبعـد ذلك بعـشرة أعـوام اتخـذ حـزب الرابطة الإسلامية بزعامة محمد علي جناح قرارًا بتحقيق فكرة الباكستان، وكان ذلك في الثالث والعشرين من مارس عام ١٩٤٠ . ولم تقم دولة باكستـان الإسلامية إلا بعد ذلك القـرار بسبع سنوات ، في الرابع عشر من أغـسطس عام ١٩٤٧ ، أي بعد وفاة إقـبال بنحو عشـرة أعوام ، وأصبح اسم إقبـال رمزًا لدولة ، وشعـارًا لأمة، وعلمًا علي كفاح الشـعب المسلم في الهند من أجل الحرية والبقاء والحياة . .

-٣-

وإقبال رائد من رواد الإسلام في العصر الحديث ، وعلم من أشهر أعلامـه . وقد ملأه إيمانه وثقافاته وخبـرته وتجاربه ورحلاته وصوفيته إيمانًا قويًا بالبعث الجديد لشعوب الإسلام ، وبأن مبادئ الإسلام وحدها هى سر البعث ، بل هي التي في استطاعتها بعث الروح والحياة في جسم الإنسانية المريضة المتداعية ، ومن أجل هذا الإيمان دعا إقبال الشعوب الإسلامية إلي الاتحاد وتكوين رابطة لها تكون قيمـتها ومبـادئها بمثابة النور الذي يهدي العـالم إلي الحرية والآخاء وإلي الخـير والحق والجـمال والقـوة ، وأخذ علي عـاتقه مهـمة تجديد التـفكير الديني في الإسـلام في سلسلة محـاضرات بالإنجليزية ألقاها عام ١٩٢٨ ، ونشرها في كـتاب بعد ستة أعوام بعنوان «تجديد بناء الفكر الديني في الإسلام» .

-٤-

وفلسفة إقبال ذات طابع ديني عميق ، وهي في جوهرها تمجيد للإسلام ، وبعث للحياة والأمل والقوة في المسلمين ، وتبشير لهم بمستقبل مجيد ، إذا ساروا في حياتهم علي هدي القرآن ونوره ، ويتغني إقبال في شعره بمآثر الإسلام ومفاخره ، وبطولاته وبماضيه ؛ فالإسلام عنده هو رسالة الحرية ، والمجد والإخاء للشعوب ، وغايته دعم الحق والعدالة ، وإقرار الحرية ، وتوطيد المحبة بين الناس . ومن ثم آمن إقبال بأن الإسلام هو الذي سيخلف الحضارة الأوروبية في إسعاد العالم وبناء نهضته . وديوان إقبال «بيام مشرق» صدي للديوان الذي نظمه جوته الألماني، وسماه «الديوان الشرقي» .

-٥-

ويؤمن إقبال بفلسفته الذاتية ، حيث يري أن الذاتية هي أساس الحياة ، ولعل العالم المصري «عثمان أمين» استمد فلسفته «الجوانية» من الفلسفة الذاتية التي بشر بها إقبال .

الإنسان عن إقبال ذات ، وحياة الإنسان تتضح بجلاء في هذه الذاتية ، فعلي الإنسان أن يبحث عن فطرته ، ويستخرج كل ما كنز فيها ، والاستقلال في الفكر ، والابتكار في العمل ، من

أسباب تقوية الذاتية ودعمها ، والمحن والأحداث كذلك تقوي الذاتية في الإنسان المسلم وتنميها .

وفلسفة إقبال في الجمال والفن والأدب مرتبطة بفلسفته العامة ارتباطًا وثيقًا ، خاصة بذلك الجزء من فلسفته التي أطلق عليها اسم «فلسفة الذات» . والفن عنده ينبغي أن يصور لهيب الحياة الأبدي الذي لا ينقطع ؛ فلا قيمة للفن الذي خرج شراراً واهنا لا أثر للحياة فيه ، ولا يلبث أن يخمد ، فالفن يجب أن يصور ذات الفنان وهو يسعي دائمًا مسوقًا بما في نفسه من شوق إلي الكمال وعشق الجمال ، ليوجد في ذاته مثلا إعلي خالدًا . والفنون عامة عنده تهدف إلي أن يتخلي الانسان بأخلاق القرآن ، ليحقق خلافة الله في الأرض . وكل فن اتصف به الضعف في جانب من جوانبه هو فن لا قيمة له ؛ وإقبال مؤمن بفلسفة القوة التي نادي بها نيتشه واضح ، وهو يري أن الجلال يفوق الجمال بما يتجلي فيه من قوة ، وما يبعث في النفوس من رهبة .

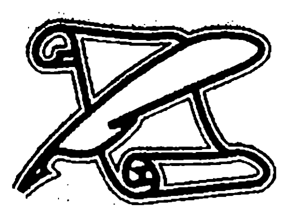
-٦-

وكان إقبال يستوحي الشاعر الايراني الصوفي جلال الدين الرومي (٦٠٤-٦٧٢هـ) ويومن أنه أدرك من أسرار الحياة ما لم يدركه غيره ، وأنه خلق ليبلغ العالم رسالة سوف يؤمن بها اليوم أو غدا ، وأنه شاعر الغد ، وصوت المستقبل إلي الحياة . . والحياة والعالم عند إقبال هما موضوع شعره الخالد الذي شمل

ضروبا من الشعر القصصي والتعليمي والوصفي والوجداني ؛ وتحدث إقبال في شعره عن الإسلام ، وعن التربية والتعليم والسياسة والفنون الجميلة ؛ ووصل كل هذا بمذهبه في الذات وتقويتها .

وقد خلف إقبال تسعة دواوين شعرية بالأوردية والفارسية ، منها «ابيام مشرق» أي رسالة المشرق ، وأسرار خودي أي أسرار الذاتية ، وجاويد نامة أي الكتب الخالدة ، وهو قصة سفر في الأفلاك كالكوميديا الالهية لدانتي ، وكرسالةالغفران للمعري ، حيث يلتقي الشاعر بفلاسفة وشعراء وصوفيين وبملوك وساسة قدماء ومحدثين ويسجل حواره معهم وحديثه إليهم .

ويري إقبال أن الشعر جمال وجلال ، وحياة وأمل ، وأن الشاعر يدعو أمته دائماً إلي القوة والخير والجمال .



ابن هانئ

شاعر من الأندلس

في ظلال خلافة بني أمية بالأندلس ، وفي عهد عبد الرحمن الناصر العظيم (٣٠٠-٣٥٠هـ) ولد الشاعر الكبير ، ابن هانئ الأندلسي، أشهر شعراء الأندلس، وأسيرهم ذكرًا في تاريخ الشعر في المغرب .

ولد ابو القاسم محمد بن هانئ بن محمد الازدي في قرية وادعة من قري اشبيلية ، تدعي «سكون» عام ٣٢٠هـ / ٩٣٢م ، من أسرة عربية عريقة ، يتصل نسبها بالمهلب بن أبي صفرة الازدي القائد الإسلامي المشهور في دولة بني أمية ، وهي أسرة قحطانية يمنية ، لها ماض حافل ، وتاريخ تليد .

وكان أبوه هانئ من قرية من قري «المهدية» عاصمة الفاطميين الأولي ، وكان شاعرًا أديبًا كما يروي المؤرخون ، ثم هاجر من قريته في تونس إلي الأندلس ، وعاش في أشبيلية ، ونشأ ابنه وترعرع في بيئتها الحافلة بألوان الحضارة والثقافة والآداب ، وبأسباب المجد السياسي الذي كسبه الأمويون في عهد ملكهم

الناصر لدين الله . . .

واختلف ابن هانئ إلي حلقات العلم والأدب في أشبيلية ، ثم رحل إلي قرطبة عاصمة الأمويين ، ومقر الجامعات والمدارس والمكتبات والعلماء ، وذات الشهرة التاريخية والحضارية الكبيرة. . وكانت هذه الرحلة للتعلم والتثقيف ، وقد حدثت في بدء حياة الشاعر ، وكانت الثقافة الأندلسية في هذا العهد تنال من عناية الملك الأموي الناصر ، ومن رعاية دولته وشعبه ، كل ما كان يطمح إليه طالب للعلم والمعرفة ، وكان الناصر وولي عهده الحكم يعملان علي نشر العلم ، وتشجيع العلماء ،و إقامة الجامعات ودور الكتب والمدارس ، وفي عهدهما كانت رحلة العلماء من الشرق إلي الأندلس ، ومن الأندلس إلي الشرق مستمرة ، وقد استقبل الناصر الوافدين علي بلاطه من العلماء والأدباء كالقالي (٢٨٨ - ٣٥٦ هـ) وغيره .

وكانت السمة الغالبة علي الثقافة الأندلسية حينذاك هي الدراسات الدينية واللغوية والأدبية الواسعة ، وهي الثقافة التي تلقاها ابن هانئ في شبابه ، ولعل ابن هانئ جلس في حلقة القالي بجامع قرطبة الكبير ، واستمع إلي محاضراته اللغوية الشهيرة ، وقد فرا الشعر الجاهلي وتأثر به واحتذاه ، وخالط القبائل العربية التي كانت نازلة في قرطبة واشبيلية ، وتأثر بلغاتها ولهجاتها .

وورث الشاعر عن أبيه حب الأدب وتذوقه ، والاقبال علي الشعر والاحتفاء به ، مما نمي ملكة الشعر في نفسه ، وقد اطلع الشاعر علي آثار الشعراء الجاهلين والإسلاميين والمحدثين ، وعلي شعر المتنبي الذي عاصره وتأثر به ، فقد قرأ ديوانه كما ترشدنا إلي ذلك قصيدته الحادية والعشرون من ديوانه الذي علق عليه الدكتور زاهد علي .

وفي قصيدته الفائية الحادية والثلاثين من ديوانه وصف دقيق للنجوم وهياتها وحركاتها في اشراقها وغروبها ، وقد يدل ذلك علي إلمام الشاعر ببعض فنون من الفلسفة ، ويروي لنا التاريخ الأدبي أن ابن هانئ كان مهتمًا في الأندلس بمذاهب الفلاسفة كما يقول الذهبي ، وكانت الفلسفة محاربة في بيئة الأندلس حربًا شديدةً ، وقد تعرض الشاعر بسبب ذلك للقتل ، مما دعاه إلي التفكير في الهجرة إلي المغرب .

نظم ابن هانئ الشعر ، ونبغ فيه ، وذاعت شهرته بين الشعراء ، ومدح بشعره رجالات الدولة ، وخاصة أمير أشبيلية ، بعد أن عاد إليها من قرطبة ، وقربه الأمير إليه ه، ولكن ابن هانئ الذي ورث حب التشيع لآل البيت عن والده ، كان يتجه بقلبه نحو المهدية يريد أن يعيش في ظل الراية البيضاء المرفوعة عليها ، ويبدو أنه كان لا يخلص للأمويين ولا يريد أن يعيش تحت ظلال رأيتهم الخضراء ، كما كان يكره العباسيين والراية السوداء المرفوعة

في بغـداد ، والظاهر أن ابن هانئ اتهم مـن أجل ذلك بالميل إلي الفلسفة ، وتحت ستـار هذا الاتهام الغير الحقيـقي اضطهد الشاعر من الدولة ، واشار عليه أمير اشبـيلية بالهجرة ، حيث خرج إلي عدوة المغرب ، عام ٣٤٧هـ أو ٣٤٦هـ وهو في السابعة والعشرين أو السادسة والعشرين من عمره ، وبذلك انتهت حياته الأولي في الأندلس ، وقد ضاع كل شعره في هذه الفترة ، وفي الحديث عن هذه الهجرة يقول الشاعر :

ومـسـتكبـر لـم يشـعـر الذل نفسـه ... ابي بابكار المهـاول فـاتك

ولو علقته من أمـــية أحــبل ... لجب سنام من بني الشعر تامك

ولما التـقت أسيافـهـا ورمـاحـهـا ... شـراعًا وقد سـدت علي المسـالك

أجـزت عليـهـا عـابرا ، وتركـتـهـا ... كـأن المنايا تحت جنبي أرائك

ومـا نقـمـوا الا قـديم تشـيـعي ... فنجي هزبرا شـدة المتـدارك

وفي هذه القصـيدة يحمل علـي بني أمية ، ويرمـيهم بالجبن والبخل وشتي الرذائل .

واسـتقـر الشاعـر في المهدية مـوطن أسرته الأول ، ومـدح جـوهرًا قائد المعـز الفـاطمي ، ثم مـدح الخليفـة المعـز نفسـه ، واصطفاه جـعفـر بن علي أمير الزاب «والمسـيلة» لنفسـه ، وكان جعفر أحد قواد الفاطميين وولاتهم ، وقد ولي الزاب والمسيلة مدة طويلة (٣٣٤ - ٣٦٠هـ) .

وفي ظلال جعفر وأسرته عاش الشاعر ، وفيهم نظم أكثر شعره ، ومن كرمهم نهل السؤدد والثراء حتي ليقول ابن هانئ :

خليلي أبن الزاب عنا وجعفر وجنة خلد بنت عنها وكوثر

فقبلي نأي عن جنة الخلد آدم فما راقه في ساحة الأرض منظر

خليلي ما الأيام إلا بجعفر وما الناس الا جعفر، دام جعفر

وطارت شهرة ابن هانئ ، ووصلت المعز ، فأرسل إلي جعفر يطلب منه شاعره ، وامتثل الأمير الأمر ، وبعث بابن هانئ عام ٣٥٠هـ إلي القيروان عاصمة الخلافة الفاطمية ، ومدح الخليفة ، وقربه الخليفة إليه ، وأقام ابن هانئ في فناء الخليفة ، واستظل بظله ، ونال من رفده وبره الشئ الكثير ، وقصائد ابن هانئ في الخليفة الفاطمي المعز لدين الله تسمي «المعزيات» وهي أروع شعره ، وأبلغ أدبه ، وفيها الكثير من تراث الفاطميين الروحي والفكري والسياسي .

ولما فتح جوهر مصر ، وضمها إلي دولة الفاطميين نظم ابن هانئ قصيدته المشهورة :

يقول بنو العباس : هل فتحت مصر ؟

فقل لبني العباس : قد قضي الأمر.

وقيل أن الشاعر بدأها بدعوة المعز للقضاء علي الخلافة

العباسية في بغداد .

تجهز إلي بغداد قد فتحت مصر   وأنجز صرف الدهر ما وعد الدهر

يقول بنو العباس : هل بلغ المدي

فقل لبني العباس : قد قضي الأمر .

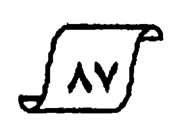
وفي عام ٣٦٢ هـ خرج المعز ميممًا وجهه شطر مصر ، يتخذها عاصمة لملكه الواسع وخرج ابن هانئ معه يودعه حتي برقة ، ثم قفل الشاعر راجعًا إلي القيروان فقتل في الطريق بيد بعض اللصوص الذين نهبوا ما كان معه من مال ، وكان مقتله في رجب ٣٦٢هـ ، ووصل المعز الإسكندرية في شعبان عام ٣٦٢هـ، ثم القاهرة في رمضان من العام نفسه ، وفي الطريق بلغه مقتل شاعره فحزن لموته حزنًا شديداً .

وابن هانئ شاعر أندلسي ، لأن الأندلس هي التي غذته ووهبته اريج الشاعرية وموهبتها العالية .

وشعره المأثور المروي قاله كله في المغرب ، في المعز ورجال دولته ، وقد تفوق علي شعراء عصره في المغرب تفوقًا ظاهراً ، ومنهم :

١- علي التونسي الشاعر ، الذي قال فيه ابن هانئ لما هجاه شعراء الغرب بعد هجرته : (لا أجيب أحدا منهم إلا أن يهجوني علي التونسي فاجيبه) كما يروي أبن رشيق في العمدة .

٢- ومنهم : عبدالله بن الحسن الجعفري .



٣- ومقداد بن الحسن الكتاني . . . وسواهم من الشعراء. . .

ومع أن شعر ابن هانئ ينزع نحو البداوة ، ويحتذي فيه حذو الجاهليين ، فأنه يعد نسيج وحده جودة معان ، وصحة أسلوب ، وجزالة لفظ ، وإحكام بناء ، وكثرة أطناب ، وجودة ابتداء ، وحسن انتهاء ، وصوره الشعرية كثيرة حتي ليضيق بها البيت من شعره ، فنراه يقول في شعره في المدح مثلاً :

كبدر الدجي ، كالشمس ، كالفجر ، كالضحي

كصرف الردي ، كالليث ، كالغيث ، كالبحر

وهو يذكرنا بقول الشابي :

عذبة أنت كالطفولة ، كالاحـ

ـلام ، كاللحن ، كالصباح الجديد

وأغراض شعره تتفاوت بين : المدح والفخر ، والرثاء ، والعتاب ، والوصف ، والغزل ، والهجاء ، والحكمة ، والشعر السياسي .

وقد لقب بمتنبى المغرب ، وعده النقاد نديداً لأبي الطيب المتنبي ، وصنوا له في الشاعرية ، ووازنوا بينهما موازنات طويلة.

لقد كان ابن هانئ أمير الشعراء في المغرب في عصره ، وقد ترك دويًا ضخمًا في حياته وبعه حياته . . .

ابن عبد ربه
أديب الأندلس



-١-

يتمتع كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه ، و«الذخيرة» لابن بسام بين تراث الأدب الأندلسي خاصة ، وبين تراث الأدب العربي عامة ، بشهرة واسعة ، لا تكاد تحظي بها أية بها أية آثار أندلسية أخري ، علي الرغم مما يزخر به الأدب الأندلسي من الآثار العظيمة .

وترجع هذه الشهرة ، لا إلي ما يحتويه كل من هذين الكتابين من القيم الأدبية والفنية العالية فحسب ، بل بالاخص إلي الظروف التي وضع فيها كل منهما ، وإلي المميزات الخاصة التي يمتاز بها ، لفد ولد عمر بن عبد ربه في سنة (٢٤٦ هـ - ٨٦٠م) ونشأ في أواسط عهد الاضطرابات التي اضطرمت في سائر جنبات الأندلس في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري ، وأذكت شاعريته الأحداث العظيمة التي شهدها ، وحظي بعطف أمراء بني أمية المتعاقبين ، منذ عهد الأمير محمد ابن عبد الرحمن حتي عبد الرحمن الناصر . وتوالت قصائده في وصف احداث عصره ووقائعه وفي مدح أمراء بني أمية ، ووضع كتابه العقد الفريد في عهد الأمير الناصر واتمه - فيما يبدو من استعراض محتوياته ، ولاسيما أرجوزته فى غزوات الناصر -

قبيل وفاته بأعـوام قلائل في سنة ٣٢٥هـ أو ٣٢٦هـ . وقد توفي ابن عبد ربه في سنة (٣٢٨هـ - ٩٤٠م) عن سن عالية ، بعد أن شهـد في العـام السابق لوفـاته مولد الخـلافة الأمـوية علي يدى الناصر في سنة (٣٢٧هـ - ٩٣٩م) .

-٢-

وكتـاب العقد الفـريد موسوعـة أدبية منوعة ، تمتـاز بطرافة مـوضـوعـاتها ، ورائـق اسلوبهـا ، وهي تجـمع بين الكلام عن السـياسة الملـكية ، ومـا يجب للسلطان وما يجب عليـه ، وعن الأجـواد والأصفـاد ، وعن وفـود العرب عـلي كسـري ، وعن مخاطبة الملوك ومديحهم ، وعن العلم والأدب وفنون المخاطبة ، وعن الزهد والزهاد والأدعـية والمرائـي ، ثم يحدثنا عن انسـاب العـرب واقوالهم ، وعن خطب الـرسول عليـه الصلاة والسـلام وأعـلام الإسـلام الأوائل ، وعن تواريخ الخـلفـاء الأمـويين ثم العبـاسيين حتي عصـره أعني إلي أوائل القرن الثالث الهـجري . ويلي ذلك باب عن أيام الـعرب ، ومـا كـان بينهم من الحـروب الشـهـيـرة ، وهنا يرتفع ابـن عبـد ربـه إلي الذروة في الوصف والعرض ، وهو من أقـيم وامتع أبواب الكتـاب . . . ثم يحدثنا بعد ذلك طويلاً عن الشعر وفضائله ، وعن الشعراء منذ الصحابة والتابعين ونوادر الشعر وأبوابه المختلفة ، وعن العروض ومختلف صنوفه ، ويحدثنا أخيراً عن النسـاء ، وصفاتهن وأخلاقهن ، ثم

عن صنوف الناس، وعن البخلاء والطفيليين ويختتم كتابه بالحديث عن الطعام والشراب ، ثم عن الفكاهات ، ويبدي ابن عبد ربه عناية خاصة في ايراد تواريخ امراء بني أمية بالأندلس وايراد مدائحه لهم ، ويخص غزوات الناصر ومآثره بارجوزة طويلة ، ولا غرو فهو شاعر الدولة الأموية التي غمرته بسابغ حمايتها ورعايتها .

-٣-

ويعتبر العقد الفريد ، من أمتع كتب الأدب العربي ، وقلما يحظي كتاب من تلك الكتب بما حظي به العقد من اقبال وشهرة وذيوع في سائر انحاء العالم العربي ، وعلي الرغم من أن موضوعاته يغلب عليها طابع الأدب المشرقي ، فأنه يعتبر عنوانا بارزاً للأدب الأندلسي ، في مرحلته الأولي وقد انتقد بعضهم العقد الفريد لانه لم يجعل فضائل بلده (أي الأندلس) واسطة عقده ، ومناقب ملوكه يتيمة هذا العقد .

ابن بسام الاندلسى
مؤرخ الأدب العربى

ان كتاب «الذخـيرة» يعتبر بمحـتوياته وروحه ، مثـلا ساطعًا للأدب الأندلسي ، وقـد عاش مـؤلفـه أبو الحسن علي بن بسـام الشنتريني ، في أعقاب عصر الطوائف ، ووضع كتابه في ظروف خاصة ، ولغاية خـاصة ، أوضحها في مقدمة كـتابه . ولقد كان عصر الطوائف ، علي ما كان يتخلله من الفتن والحروب المتوالية، عصـراً زهت فيـه العلوم والآداب بحق ، وكـان يحتشـد في كل قصر من قصور الطوائف جمهرة من العلماء والكتاب والشعراء ، وكان أمراء الـطوائف ، ومعظهم من الأدباء والشعراء ، يغـدقون رعايتـهم وصلاتهم علي أقطاب العلم والأدب ، وجـاء ابن بسام في أواخـر هذا العصـر الذى زهت فـيه الآداب ، فـبهـرته هذه النهضة الأدبية التـي عاصر جمهرة من أعلامـها ، وتذوق الكثير من روائعها من المنثور والمنظوم ، وجالت بخاطره في الوقت نفسه فكرة لم تخـطر لاحـد من قـبله ، وهـي أن الأدب الأندلسي لم ينصف من مواطنيه ، ولـم يقدروه قدره ، واعتزم أن يقدم لمواطنيه اروع صـورة من أدب الأندلس ، وأدب الطوائف بنوع خـاص ، فكتب مؤلفه الضخم «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» ، وانتهي من كتابته بمدينة قرطبة في سنة ٥٠٣هـ .

وللعنوان الذي اتخذه ابن بسام لكتابه مغزي واضح ، ويصارحنا ابن بسام في مقدمة كتابه بالدوافع النفسية التي دعته إلي تصنيف كتابه ، وهو أنه رأي انصراف أهل عصره وقطره إلي أدب المشرق والتزود منه والأعجاب به ، واهمال أدب بلدهم فأراد بوضع كتاب «الذخيرة» وجميع ما تضمنه من المنثور والمنظوم ، أن يبصر أهل الأندلس بتفوق آبائهم ، وروعة إنتاجهم ، وأنه من حقهم أن يزهوا بأدبهم وأن يتذوقوه ، وان الاحسان ليس مقصوراً علي أهل المشرق ، وابن بسام يعارض بكتابه هذا ، الذي جمع فيه محاسن أهل الجزيرة ، كتاب أديب المشرق الكبير أبي منصور الثعالبي ، «يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر» ، و«الذخيرة» و«اليتيمة» بذلك صنوان يدعو كل منهما إلي تذوق روائع أدب قطره وعصره .

يقع كتاب الذخيرة وفقًا لترتيب مؤلفه في أربعة أقسام ، تشغل أربعة مجلدات ويختص القسم الأول بأهل حضرة قرطبة وما يصاقبها من بلاد في أواسط الأندلس .

والقسم الثاني بأهل الجانب الغربي من الأندلس ، وذكر أهل حضرة أشبيلية ، وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر الرومي ، والقسم الثالث بأهل الجانب الشرقي من الأندلس ، ومن نجوم من كواكب العصر في أفق الثغر الأعلي ، ويختص القسم الرابع «بمن طرأ علي الجزيرة» من الأدباء والشعراء ، ومن ظهر منهم في

عصر المؤلف في أفريقية والشام والعراق . . . ويتناول ابن بسام في كل قسم من الأقسام الثلاثة الأولي أخبار الرؤساء واعيان الكتاب والشعراء في كل منطقة ، وكل حضرة ، ويقدم الينا نماذج كثيرة من روائع منثورهم ومنظومهم .

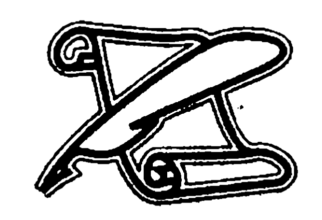
ويعتبر كتاب الذخيرة مثل كتاب العقد الفريد ، من أشهر كتب الأدب كما يعتبر من الكتب الأندلسية المميزة لعصر بعينه ، بيد أنه علي النقيض من العقد الفريد الذي تغلب علي محتوياته وموضوعاته ، موضوعات الأدب المشرقي ، ويعتبر بمحتوياته أروع نموذج للأدب الأندلسي الرفيع ، وانك لتكاد تشعر من قراءة محتوياته أنك تعيش مع شخصياته في عصرهم ، وفي ظروف مجتمعهم ، وتتذوق من مؤلفه تلك المختارات العديدة الرائعة التي يوردها من منثورهم ومنظومهم ،ومعظهما من إنتاج عصر الطوائف.

ويمتاز ابن بسام بملاحظاته النقدية القوية ، التاريخية ، والاجتماعية ، وهو علي النقيض من كتاب عصره ، الذين يتملقون امرءهم ورؤساء هم، وهو لايحجم عن مهاجمة معاصريه ، من الأمراء والكتاب والشعراء ، وقلما ينزلق إلي أسلوب الملق الذي يغلب علي كتابات أهل عصره ، ويرجع ذلك بالأخص إلي أن ابن بسام لم يخدم أحدا من أمراء عصره ، ولم يتطفل علي موائدهم ، ولم يتقلب في صلاتهم اسوة بمعظم

زملائه من كتاب العصر وشعرائه .

وتوفي ابن بسام بمدينة قرطبة في سنة (٥٤٢هـ -١٤٤٧م) في نهاية عصر المرابطين وكان مولده بمدينة «شنترين» البرتغالية حوالي سنة ٤٦٠هـ (١٠٦٧م) .

ويزخر الأدب الأندلسي ، بكثير من عيون كتب النثر والشعر، ولكن يندر أن يوجد بينها كتاب يبلغ من حيث الشهرة والذيوع ، ما بلغه كتابا «العقد الفريد» و «الذخيرة» .



أبو علي القالى البغدادى الأندلسى

شخصية بغدادية أندلسية خالدة علي مر الزمان ، وهو ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، ولد بمنازجرد من ديار بكر سنة ٢٨٨هـ ونشأ بها ، ثم رحل إلي العراق لطلب العلم ، وهو منسوب إلي «قالي قلا» بلد من أعمال أرمينية ، وقد قال القالي في سبب هذه السمية : «لما انحدرنا إلي بغداد كنا في رفقة كان فيها أهل الفالي فلا ، وهي قرية من قري منازجرد ، وكانوا يكرمون لمكانهم من الثغر فلما دخلنا بغداد نسبت إليها لكوني معهم ، وثبت ذلك علي .

وكانوا يسمونه البغدادي لطول مقامه في بغداد . .

توجه إلي العراق ، وكانت يومئذ مهد العلم ، ومنتهي الأدب ، فوصل إلي بغداد سنة ٣٠٢هـ ، واكب علي الدرس ، وجد في التحصيل علي علماء الحديث واللغة والأدب ، ومال إلي اللغة وعلوم الأدب فبرع فيها ، واستكثر منها ،وعده المؤرخون إماما وحجة .

أقام الفالي ببغداد خمسا وعشرين سنة ذاع فيها صيته ، وعمت شهرته وطار ذكره إلي عبد الرحمن الناصر الخليفة

الأندلسي ، فكتب إليـه ، ورغبه في الوفـود عليـه لنشر علمـه والاستفادة من معارفه وعلومه .

فلبي دعوته ، وعند قدومه إليـها استقبل استقـبالاً عظيمًا ، وكان ولي العـهد الحكم بن عبد الرحـمن الناصر ووزراء والده ، ووجوه رعيته في مقدمة المحتفين به .

-٢-

نزل ابو علي ضـيفًا علي الخليـفة الناصـر ، فاكرم مـثواه ، واحسن منزلته ، واعلي قدره ، واختصه بتعليم ولي عهده الحكم، واستوطـن قرطبة ، فأورث ابو علي أهل الأندلس علمـه ، وافاد الحكم باحسن ما عنده .

وكان ابو علي ممتازًا بسـمة الاطلاع في العلم والرواية وطول البـاع في اللغة وفنـونها ، فـأقبل عليـه علمـاء الأندلس وادباؤها للاستـفادة من مـحاضراته في اللغـة والأدب التي كان يمليـها من حفظه بقرطبة والمسجـد الجامع بالزهراء ، فرددوا ذكره ، وشهدوا له بالتقدم والاجادة .

وتولي الحكم عـرش الأندلس بعد أبيـه ، فبـالغ في اكرامـه واجلاله ، إذ كان استاذه الذي ثقف عقله بالعلوم ، وبث في نفسه حب العلم ، وحثه علي التأليف ، ونشطه بواسع العطاء ، وشرح صـدره بالاكـرام ، فانقطع إلـي العلم ، وعكف علي التـأليف ،

وأملى مؤلفاته التي فاق بها من تقدمه ومن اتي بعده .

وكتاب الأمالي : من كتب الأدب واللغة المعدودة ، جزيل الفائدة، جم النفع لمن يريدون التعمق في اللغـة وعلوم العربية ، والوقوف علي الأخبـار المنتخـبة والاشعـار المختارة ، والأمـثال المستـجادة والحكم البالغة .

وقد بين القالي نهج كتابه في مقدمته ، إذ قال :

لما رأيت العلم أنفس بضـاعة أيقنت أن طلبه أفـضل تجارة ، فاغـتربت للرواية ولزمت العلماء للدراية ، ثم اعـملت نفسي في جمعه ، وشغلت ذهني بحفظه ، حتي حويت خطيره ، واحرزت رفـيعـه ، ورويت جليله ، وعرفت دقـيقـه ، وعقلت شـارده ، ووعـيت نادره ، وعلمت غامـضه ، وهو حـفظت واضحـه . . فأمليـت هذا الكتاب من حفظـي في الاخمسـة (جمع خـميس) بقرطبة ، وفي المسجد الجامع بالزهراء المباركة ، واودعته فنونًا من الأخبار ، وضروبًا من الاشعار ، وأنواعًا من الأمثال وغرائب من اللغات ؛ علي أني لم اذكـر فيه بابا من اللـغة الا اشبعـته ، ولا ضربًا من الشعر الا اختـرته ، ولا فنا من الخبر الا انتحلته ، ولا نوعا من المعاني والمثل الا استجدته .

علي أني اوردت فيه من الابدال ما لم يورده أحد ، وفسرت فيه من الاتبـاع ما لم يفسره بشر ، ليكون الـكتاب الذي استنبطه

احسان الخليفة جامعا ، والديوان الذي ذكر فيه اسم الأمام كاملاً . .

-٣-

والكتاب ذخيرة أدبية ممتعة ، ولكنه لم يرتب أبوابًا ولم ينسق فصولاً ، بل هو ضروب من العلم منثورة ، والوان من اللغة والأدب منشورة .

وكثير مما ورد في الكتاب قد وفاه مؤلفه شرحًا وتوضيحًا يدلان علي سعة علمه باللغة واحاطته بفقهها .

وألف ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز البكري كتاب «التنبيه علي اوهام ابي علي في أماليه» وهو تعقيب علي «الأمالي» وقد قال ابو عبيد في مقدمة كتابه :

«هذا كتاب نبهت فيه علي أوهام ابي علي رحمه الله - في أماليه ، تنبيه المنصف لا المتعسف ولا المعاند ، محتجًا علي جميع ذلك بالشاهد والدليل ، فاني رأيت من تولي مثل هذا - من الرد علي العلماء والاصلاح لاغلاطهم والتنبيه علي أوهامهم - لم يعدل في كثير مما رده عليهم ، ولا انصف في جمل مما نسبه إليهم .

وأبو علي من الحفظ وسعة العلم والنبل ، ومن الثقة في الضبط والنقل ، بالمحل الذي لا يجهل ، وبحيث يقصر عنه الثناء

الاحفل ، ولكن البشر غير معصومين من الزلل ولامبرئين من الوهم والخطل ، والعالم من عدت هفواته واحصيت سقطاته» .

وقد طبع مع كتاب الامالي في طبعته الأخيرة .

-٤-

وقد ألف أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري هذا أيضًا كتاب اللآلي شرح فيه كتاب الامالي ، وقال في مقدمته :

«هذا كتاب شرحت فيه من النوادر ، التي أملاها ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي ، ما اغفل ، وبينت من معاني منظومها ومنشورها ما اشكل ، ووصلت من شواهدها وسائر اشعارها ما قطع ، ونسبت من ذلك إلي «قائليه ما اهمل» .

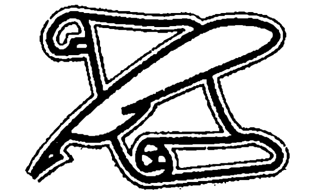
وكثيرًا ما يرد البيت المفرد ، والشعر الغفل المجرد علي ما ذكرت في صدر كتابي المؤلف ، في أبيات الغريب المصنف ، وذكرت اختلاف الروايات فيما نقله ابو علي ذكر مرجح ناقد ، ونبهت علي ما وهم فيه تنبيه منصف لا متعسف ولا معاند ، محتج علي جميع ذلك بالدليل والشاهد .

ذكريات لقاء

بين

جمال الدين الأفغاني

والأمام محمد عبده



-١-

كانت ليلة خالدة في تاريخ مصر الحديث ، جمعت بين رائدي النهضة الفكرية والإسلامية في العالم الإسلامي : محمد عبده وجمال الدين الأفغاني :

كان الأفغاني يومئذ في الثلاثين من عمره ، وكانت شهرته قد رن صداها في كل مكان : رائدًا مصلحًا ، وفيلسوفًا حكيمًا ، وثائرًا مجددًا ؛ ومناهضًا للاستعمار ، والملكية الاستبدادية ، والفساد السياسي في إيران والأفغان ، وذاعت آراؤه الثائرة في الإصلاح والتجديد الديني ، وكافح الاستعمار البريطاني في الهند، فنفته حكومة التاج من الهند علي باخرة بريطانية متجهة نحو أوروبا ، وفي السويس نزل جمال الدين في أواخر عام ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩م ، ويمم وجهه شطر القاهرة ، فأقام فيها أربعين يومًا ، تردد خلالها علي الجامع الأزهر ، واتصل به كثير من المفكرين والعلماء والطلاب .

وكان محمد عبده آنذاك من انبه شباب الأزهر ، وأذكي طلابه ، في نحو الخامسة والعشرين من عمره يمتلئ صدره بأضخم الآمال لوطنه وشعبه العريق في المجد والتاريخ والنضال . وفي يوم قص عليه طالب سوري في رواق الشام نبأ قدوم عالم أفغاني عظيم إلي مصر ، وحدثه أنه يقيم في خان الخليلي ، وأنه يذهب إليه كل مساء حيث يقيم ، في رفقة بعض الزملاء يتتلمذون عليه ، ويأخذون عنه .. وعجب محمد عبده من الأمر، وأخبر أستاذه حسن الطويل بالقصة ، فاتعدا لزيارة جمال الدين والتعرف به ليلة أول المحرم عام ١٢٨٧ هـ .

ودخلا عليه فوجداه يتناول طعام العشاء ، ورحب بهما ، ثم أخذ يحدثهما في التصوف والتفسير والمفسرين وأشياء أخري ، وكان بين الحين والحين يصوب بصره نحو محمد عبده ، فيدرك ما كاننت تنم عليه نظرته من حيرة وثورة ، وشوق إلي المعرفة ، وإيمان بمستقبل الإسلام والمسلمين ، ولم ينته سمر الثلاثة وحوارهم ليلتئذ ، إلا وقد اطمأن محمد عبده إلي جمال الدين ، ووثق به ، وصمم علي ملازمته ، والإفادة من علمه وتفكيره ونزعته المتوثبة الحرة .

وانتهت إقامة الأفغاني في القاهرة ، وعزم علي السفر إلي الآستانة ، بعد أن كانت وجهته الحجاز لأداء فريضة الحج ، وودعه تلميذه محمد عبده وداعًا حارًا ، والتفت الأفغاني إلي

مودعيه يقول لهم : إني خلفت في مصر خيرًا كثيرًا في علم الشيخ محمد عبده .

وفي الآستانة تعرف جمال الدين برجالات الخلافة وعلمائها ومفكريها ، واختير عضوًا في مجلس المعارف هناك ؛ ولكن الدسائس والوشايات حيكت له ؛ فعاد إلي القاهرة في أول المحرم من عام ١٢٨٨هـ - ١٨٧١م ؛ واستقبله تلميذه محمد عبده استقبالايليق بمكانته ، وأخذ يلازمه ليشبع رغبته في طلب العلم ، ومعرفة كنوز الفلسفة ، وحقائق الحياة . وصار يدعو زملاءه وأصدقائه إلي غشيان مجلسه ، والإصغاء لروائع حكمه والإفادة من سمو توجيهه .

-٢-

واندمج جمال الدين في حياة مصر الاجتماعية والفكرية ، وتردد علي دار ابراهيم بك المويلحي في حارة الأمير حسين بشارع محمد علي ، وهي في ذلك الوقت ندوة المفكرين والعظماء والقادة . فلما أجري عليه رياض باشا مرتبًا شهريًا قدره عشرة جنيهات مصرية ، استأجر منزلاً في حارة اليهود ، وصار بيت الأفغاني مدرسة جامعة ، يقصدها النابهون من طلاب الأزهر ، ويدرس لهم فيها أمهات الكتب في العقائد والحكمة والمنطق والفلسفة والتصوف وأصول الفقه والفلك والتاريخ ، ولم يكن

يقصد من دروسه التعليم فحسب ، بل كان يهدف من ورائها كذلك إلي الدعوة للإصلاح ، وفتح باب الاجتهاد في الدين والعلم ، وبث الأخلاق العالية في النفوس ، والتبصير بالشئون السياسية وحقوق الشعب والأمة . وكان إلي هذا يرشد الطلاب إلي المطالعة فى كتب الأدب لتنضج مواهبهم الأدبية ، وليستطيعوا أن ينهضوا بالأمة عن طريق الكتابة في الصحف . وعرف طلاب العلم الأفغاني ، واهتدوا إليه ، واستوروا زنده فأوري ، واستفاضوا بحره ففاض درا ، كما يقول الأمام محمد عبده نفسه؛ أيقظ جمال العقول من غفلتها ، ونبه شباب الأزهر إلي ضعف التوجيه فيه ، فألفوا من بينهم جماعة تسعي في إصلاحه، وكان أول عمل لهم أن كتبوا منشوراً يدعون فيه إلي الإصلاح ، وعلقوه علي أعمدة الأزهر في سواد الليل .

وكان من تلاميذه المقربين : محمد عبده وعبد الكريم سلمان وسعد زغلول وابراهيم الهلباوي وعبدالله نديم وقاسم أمين وحسن عاصم وحسن عبد الرازق وسيد وفا ، وسواهم .

وبتوجيه جمال الدين أقبل محمد عبده علي الثقافات المترجمة إلي العربية ، فاستوعبها ، ونبغ في الكتابة الوطنية والصحفية نبوغًا فائقًا .

وكان لجمال الدين ندوة «ثانية» في (قهوة البوسطة) بجوار الأزبكية ، وكان من رواده فيها : الإمام محمد عبده والبارودي

وعبد السلام المويلحي وإبراهيم المويلحي وسعد زغلول وعلي مظهر وأديب إسحاق وغيرهم ؛ وفي هذه الندوة حول جمال مجري الأدب ، فجعله في خدمة الأمة ، يطالب بحقوقها ، ويدفع عنها من ظلمها ، ويحرض الشعب أن يؤمنوا بحقهم في الحرية ، وألا يخشوا بأس الحاكم ، فليست قوته إلا بهم ، وأخذ الأدب يتحدث عن الشعب ، وينشد التحرر ، ويفيض في الحديث عن حقوق الناس ، وواجبات الحاكم ؛ وبدا ذلك واضحًا في مقالات : محمد عبده وسعد زغلول وأديب اسحاق ، وكتب جمال الدين نفسه مقالتين في جريدة «مصر» ، كانت إحدهما في «الحكومات الشرقية وأنواعها» وكان لها صدي جد بعيد . وكتب محمد عبده كذلك عدة مقالات تأثر فيها بروح أستاذه ونشرها ي جريدة «الأهرام» وكانت أولاها في «فلسفة التربية» ، والثانية في «فلسفة الصناعة» . وهكذا عمل الأفغاني علي توسيع المدارك ، وتوجيه الأفكار ، وتعويد الشباب علي الحرية في البحث والنقد ؛ وبصر الشعب بحقوقه وواجبات الحاكم نحوه ، وتحدث في صميم السياسة ، ورأي أن الحكم النيابي لا قيمة له مادام الشعب غافلاً جاهلاً : ولما أثمرت النهضة الفكرية التي غرسها بيديه أخذ يلح في طلب الحكم النيابي ويدعو إليه .

وظفر محمد عبده بشهادة العالمية عام ١٢٩٤هـ ، ١٨٧٧م ، وأصبح مدرسًابالأزهر ، واختير بعد قليل مدرسًا للتاريخ

الإسـلامي بدار العلوم . وللعلوم العـربية بمدرسـة الألسن . وفي الأزهر أخذ يدرس المنطق والعقائـد علي نحو جديد ، ويدعو إلي تدريس الفلسفة ، وإلي فتح باب الاجتـهاد ، والعودة إلي أمهات مصادر الثقـافة الإسلامية . وفي دار العلوم قرأ لتلاميـذه «مقدمة ابن خلدون» ؛ وفي داره كـان يتحـدث مع زائريه في السـياسـة والاجتماع وشـئون الفكر ؛ وأصول الدين . . وهو في كل ذلك متـأثر بنزعات أستـاذه جمال الدين ، الذي أثر في مـحمد عـبده تأثيرًا بليغًا ، صـاحبه طول حياته . وكان جمـال كثير الثناء علي أخلاق الإمام ، وكان يعبـر عنه بالصديق ، وكان يعجب لأخلاق الإمـام وعزة نفسـه ، ويقول له : «قل لـي بالله أي أبناء الملوك أنت؟» . وكذلك كان محمد عبده ينعت جمال الدين بلسان الحق ومـحيـى الدين ؛ ولم يزل الأفـغاني يشـعل الثـورة في نفـوس المصريين، ويملؤها إيمانـا بالوطن وعزته والشعب وحـريته ، وفي وسط الأحداث الكبـري التي كانت تمر بمصر ظهـر شعار «مـصر للمصريين» ، ووقف الأفغاني في الإسكندرية قبل خلع اسماعيل يخطب جـموع الشـعب ويقـول : «أنت أيها الفـلاح تشق قلب الأرض ، لتنبت فيـها ما تسـد به الرمق ، ويقوم بأود العـيال ، فلماذا لا تشق قلب ظالمك ، لماذا لا تشق قلب الذين يأكلون ثمرة كفاحك وتعبك؟» .

وطويت صحـائف الأيام ، ومر عام وعـام ، وتسلم توفيق

العرش بعد عـزل أبيه في الخامس والعشـرين من يونيو ١٨٧٩ ، وكان توفيق من قبل يظهر الصداقة والمحبة للأمامين ، ويعاهدهما علي إيجاد حكم سيـاسي نظيف في مصر ، فيـما لو آلت الأمور إليه ، وكان من أجل ذلك هوي جمال وحزبه معه.

ولم يتوان توفـيق في أن يستدعي جمـال الدين ويقول له : أنت أيهـا السيـد أملي في مصـر الآن . فنصحـه جمـال بتأييـد الدستور ، وإقامة حكم نيابي في مصر يشترك فيه الشعب اشتراكًا فعليًا في حكم البلاد .

ولم يمض غـير قـليل حتي كـان رد توفـيق عليـه أن انعقـد مـجلس وزرائه في ٢٤ أغـسطس عـام ١٨٧٩ -أواسط رمضـان ١٢٩٦هـ ، وقرر نفي جمال الدين من مصر ، وإقالة محمد عبده من وظائفه العلـمية ، وتحـديد إقامتـه في قريته «مـحلة نصر» ، وصـدر بلاغ رسمي مـن إدارة المطبوعـات يتـهم جـمالاً وحـزبه بالإفساد وتضليل الشعب وإثارة الفتن .

-٣-

ورحل الأفغاني عن مصر التي أحبها ، وسعي مخلصًا لها ، بعد أن عـاش فيهـا ثمان ستين ، كـانت كلها نضالاً وجـهاداً من أجل مستـقبل مصر السيـاسي ، وحقوق شعـبها المكافح الأبي ، وعاد إلي الهند مرة أخري . وكان ذلك آخـر عهده بمصر ، وقبل

أن يغادر البلاد قال كلمتـه المشهورة : «إني تركت في أرض مصر الشيخ محمد عبده يتم ما بدأت به» .

وتلفت الناس إلي خليفة جمال الدين ليجدوه شبه معتقل في قريته محجور عليه في أن يعمل لخير وطنه وأمته ، وثار الشعب، وأشفق رياض باشـا من الأمر ، فـشفع في الإمام عـند توفيق ، وانتهي الأمر بتعيينه محرراً بالوقائع صحيفة الدولة الرسمية ، ولم يلبث مـحـمـد عبـده أن نهض بالعبء ، وصـار المحـرر الأول للوقائع، واختـار معه سعد زغلول وعـبد الكريم سلمان وابراهيم الهلباوي وسـيد وفا ، وهم من تلامذة جمـال الدين ، وعلمهم الكتابة الصحفية ، وعودهم علي تدبيج المقالات وتحبيرها .

وأحدث محمد عبده ثورة صحفية واجتماعية وفكرية وأدبية، عن طريق الوقائع التي كان فيها معلمًا ومصلحًا للشعب ، ورائدًا وموجهًا للنهضة الحقيقية ، وكثيرًا ما كتب ينقد أعمال الحكومة ، ويدعو الحـاكم والمحكوم إلي احترام الـقانون ، دعوته إلي تنمـية الاقتصاد الوطني ، وتيسير سبل التعليم أمام الراغبين فيه من أبناء الشـعب ، وإنشاء المدارس النهـارية والليليـة . وبجهـوده أسس مـجلس المعـارف الأعلي في ٣١ مارس عـام ١٨٨١ ، وانتـخب عضوا فيه ؛ وهو في ذلك كله إنما يعمل وفق تعاليم أستاذه جمال الدين .

وما فتئ يـواصل جهوده في خدمة الشـعب ، وإعداد الرأي

العام الوطني المستنير ، حتي نشبت الثورة العرابية التي كان هو وأستاذه أكبر الممهدين لها ، والغارسين لبذورها ؛ بل كان محمد عبده كما يقول اللورد كرومر : «الروح المدبرة للثورة» ، وكان هو الواضع لصيغة اليمين الوطني الذي أقسم به جميع رجالات مصر وضباطها علي أن يكونوا يدا واحدة ، وهو الواضع كذلك لصيغة القرار الذي عزلت الأمة به توفيق بن اسماعيل ، ودعا الإمام إلي التطوع في صفوف الجيش المدافع عن أرض الوطن ، وإلي التبرع له بالمؤن والمال والسلاح .

وكان الأفغاني إبان ذلك قد اعتقلته بريطانيا في الهند ، وانتهت الثورة العرابية بالقبض علي زعمائها ، ومن بينهم الإمام، وحبس مائة يوم ، حكم عليه بعدها بالنفي ثلاث سنين ، واختار سوريا منفي له فوصلها ، في نهاية عام ١٨٨٢ ، وأقام في بيروت، يعاود نضاله وكفاحه من أجل الشرق الإسلامي عامة ومصر وشقيقها السودان خاصة .

وفي عام ١٨٨٣ أطلقت بريطانيا سراح جمال الدين ، وسمحت له بالسفر ، فسافر إلي لندن ، وفي طريقه إليها كتب إلي الإمام يبشره بفك أسره ، وبسفره إلي العاصمة البريطانية ، ووصل جمال الدين إلي إنجلترا ، ثم سافر منها إلي باريس ، وأرسل إلي الإمام محمد عبده يستدعيه ليلحق به هناك ، فلبي الإمام نداء أستاذه فرحًا قرير العين .

وفي باريس أخذ الإمامان يجاهدان من أجل مستقبل الشرق الإسلامي ، ويعملان ليعود للإسلام مجده ، وألفا فيها عام ١٨٨٤م جمعية العروة الوثقي للجهاد في سبيل الإسلام والدعوة إليه ، والكفاح من أجله ، والذود عن شعوبه ، وخلق الوعي السياسي المستنير فيها ، ومناهضة الحكم الديكتاتوري ، والعمل علي إحياء الأخوة الإسلامية بين شعوب الشرق وعلي قيام الحكم فيها علي أساس الدين الذي يأمر بالشوري والعدل بين الناس ، وقد كان في مقدمة أهداف الأمامين تحرير مصر والسودان من الاستعمار البريطاني . ومن أجل هذه الأغراض النبيلة أنشأ الإمامان جريدة العروة الوثقي في باريس ، وصدر العدد الأول منها في ٥ جمادي الأولي عام ١٣٠١هـ - ١٣ مارس عام ١٨٨٤م ولخصا فيه أهدافهما فيما يلي :

أولاً : بيان الواجب علي الشرقيين ، وأسباب فساد حالهم.

ثانيًا : إشراب النفوس عقيدة الأمل ، وترك اليأس .

ثالثًا : الدعوة إلي التمسك بالأصول التي كان عليها أسلافهم، وعزوا بها .

رابعًا : الدفاع عما يتهم به الشرقيون عمومًا ، والمسلمون خصوصًا ، من أنهم لن يتقدموا ما داموا متمسكين بدينهم .

خامسًا : إخبـارهم بما يهمـهم من حوادث السيـاسة العـامة والخاصة .

سادسًا : تقوية الصلات بين الأمم الإسلامية ، وتمهيد الطريق إلي جامعـة إسلامية تعيد شـأن الإسلام الأول ، وتقوية فكرة الرابطة الشرقية بتقوية العلاقات السياسية والتجارية بين شعوب الشرق ، صدًا لتيار الغرب وزحفه.

وكان الإمـامان يريدان حكومة إسـلامية مـوحدة ، ولما رأيا عدم إمكان ذلك كـتبا يدعوان إلـي أن تحكم الشعوب الإسلامـية بحكومات إمامـها القرآن ، وأساسهـا العدل والشوري ، ويرتبط بعضها ببعض بروابط محكمة ، وأخذا يناهضان الاستعمار الغربي في الأقطار الإسلامية ، وخاصة الاستـعمار البريطاني في مصر ، وكانا يدعـوان إلي الاجتهاد وترك التـقليد في الدين ، ويريان أن العدالة في الإسـلام ملتحمة في الإسـلام مع العقيدة ، ملتـصقة بالأخـلاق ، يبـعث عليـهـا حب الخـيـر ، عـلي النقـيض من اقتـصاديات الغرب ، التي يبـعث عليها جـور الحكام ، وعوامل الحسد في الـعمال لأصحاب رؤوس الأمـوال . وأعلنا في قوة أن الدين لا يخالف الحضارة العلميـة ، والفكر الحر النزيه ؛ فالقرآن أجل من أن يخالف نواميس العلم الحقيـقي خصوصًا في الكليات

وظلت صحيفة العروة الوثقي وجمعيتها يؤديان رسالتهما في عزم وتصميم ، ومن خلفهما فروع الجميعية السرية العديدة في شتي الأقطار ، ولكن قوي الاستعمار اجتمعت علي محاربة هذه الصحيفة الإسلامية الكبري ، فتوقفت عن الصدور بعد العدد الثامن عشر الذي صدر في ٢٦ من ذي الحجة عام ١٣٠١هـ - ١٦ أكتوبر عام ١٨٨٤م .

وفي يوليو عام ١٨٨٤ قبل إغلاق الصحيفة بقليل أوفد جمال الدين الإمام محمد عبده إلي لندن لمفاوضة الإنجليز في القضية المصرية والسودانية ، فسافر الإمام إلي إنجلترا ، ومعه ميرزا محمد باقر ، وهناك قابل محمد عبده أقطاب الزعماء والساسة والنواب والمفكرين ، وتحدث معهم في المسائل السياسية، وكان صوته أول صوت مصري يرتفع بالمطالبة بحقوق مصر والسودان بعد ا لاحتلال البريطاني . . ويصور لنا كفاح الإمام، ومن ورائه أستاذه جمال الدين ، في سبيل المسألة المصرية، هذا الحديث الذي دار بين الإمام ومندوب صحيفة الغازيت ، ونشرته الجريدة في عدد ١٧ أغسطس عام ١٨٨٤م .

قال الصحفي الإنجليزي : إن الشيخ محمد عبده أول مصري أصيل يزور هذه البلاد ، فهو يقينًا فلاح ، يلبس جبة زرقاء وعمامة بيضاء ، ولا يتكلم الفرنسية ولا الإنجليزية ، بل ولا التركية ، إنما يتكلم العربية ، لغة قومه ، وتلك أول مرة يزور

فيهـا الشيخ بريطانيا ، ليـري بعينيه البلاد التي كـانت السبب في نكبة وطنه .

- وسـأل الصـحـفي البـريطاني الإمـام عن رأيه في الحـالة السياسية في مصر .

- فرد علـيه يقول : إنـنا معشـر المصريين مـن أرباب حزب الحرية ، كنا نظن أن الإنجليـز يناصرون قضيـة الحرية ، لكننا لم نعد نعتقد بمثل هذه الظنون ، فإن الحقائق أقوي وأبلغ من الكلام. إنـنا نري أن انتـصـاركم للحـرية هو انتصار لمـا فيه مصلحتـكم ، وأن عطفكم علينا كعطف الذئب علي الحمل . لقد قضيـتم علي عناصر الخير فينا ، لكي يكون لكم من ذلك حجة للبقاء في بلادنا .

- وعاد الإمـام يقول للصـحفي البريطـاني : لم لا تغادرون بلادنا في الحال ؟ لـقد علمنا الإنجليز شـيئًـا واحدًا هو التضامن في رغبـتنا أن نراهم يرحلون عن بلادنا ، حقا إننا أردنا أن نحطم استبداد حكامنا ، ولكننا الآن نعلم أن هناك ما هو شر من استبداد الحكام ، إن لنا إليكم رجاءًا واحدًا ، هو أن تغادروا بلادنا من غير رجعة .

- ولما سأله الصـحفي البريطاني عن مـشاعر المصـريين نحو توفـيق ، بادره الإمـام يقـول له : إنـنا لا نريد خـونة وجوههم مصرية وقلوبهم بريطانية .

- وقال له الصحفي : إن فرنسا تريد احتلال بلادكم بدلا عنا .

فرد عليه الإمام : إن الفرنسيين يعلمون أننا لا نقبل حكمهم كما لا نقبل حكمكم ، نقاومهم كما قاومناكم ، إننا لا نريد لوطننا حكامًا أجانب عنا ، كائنة ما كانت بلادهم، ونحن نعرف كيف نجعل حكمهم فينا أمرًا مستحيلاً .

- ولما هدد الصحفى بحركة المهدي في السودان ، وأن من أغراضها احتلال مصر ، بادره الإمام :

- لا خطر علي مصر من حركة المهدي ، إنما الخطر من وجودكم أنتم إن المهدى الآن محبوب من الشعب المصرى ، إنه يري فيه المخلص لهم من الاعتداء الأوروبي ، وسننضم إليه عند قدومه ، واستمر الإمام في حديثه قائلاً : كفوا عن تهديدنا وغادروا مصر .

- ولما تعلل الصحفي بحماية بريطانيا للمسيحيين في مصر، إجابه الإمام :

لا نزاع بيننا وبين المسيحيين طالما عاشوا في ظل قوانيننا ، ولم يتدخلوا في شئون حكومتنا ، والمذابح التي حدثت كان سببها الإنجليز أنفسهم . إن وصول أسطولكم إلي

الإسكندرية هو سبب كل الأحداث .

- وختم الإمـام حديثه مع الصـحفي البـريطاني قائلاً : إذا رأت إنجلترا أن تتـدارك خطأها ، فيجب عليـها أولاً أن تقدم إلينا دليـلاً علي إخلاصهـا وحسن نيتهـا ، وتأمر بإرجاع جـيوشـها من مـصر ، وثانيًا أن تـتفق مع دول أوروبا ومع سلطان تركـياعـلي إقامـة حاكم جـديد في مصر، علي أن يكون مسلمًا مصري المولد ، ويختار من الرجال المحبوبين من الشعب المصري لمدة سبعة أعوام أو ثمانيـة ، وفي نهاية هذه المـدة يحق للشعب أن يخـتار بنفسه من يحكمه .

إننا لسنا نريد ملكًا وإنما نريد زعـيما ، إنـنا معشـر المصريين نريد الاصلاح ، نـريد العدالة ، نريد حـاكمًا نسـتطيع احتـرامه، دعوا أمـتنا تختار زعـيمهـا ، ودعوها تحكم نفسها بنفسها.

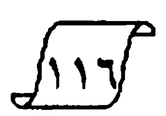
هذه هي مصر كما صورها الإمام ، ورغم المحن والأحداث؛ إنها نفـحة من نفـحات جمـال الدين ، وشعلة من روحـه الثائرة الحانقة علي الاستعمار والاستبـداد ؛ ولقد صار محمد عبده أكبر من عالم ، وأعظم من فـيلسوف ، تصدي للاسـتعمـار ولغزواته المستمرة علي الشعوب وعلي العقائد الإسلامية ، فكافح كل ذلك

بكل ما أوتي من قوة ؛ ومحاوراته مع هانوتو ، وكتاباته عن الإسلام والنصرانية ، لم تكن كما يقول المؤرخون آية نبوغ للأستاذ الإمام بين مواطنيه فحسب ، بل كانت شيئًا عظيمًا بهر الغربيين ، وهزهم من الأعماق ، وكذلك كانت محاوراته مع فلاسفة أوروبا وعلمائها شيئًا جديدًا جعل من محمد عبده بفضل أستاذه جمال الدين -شخصية عالمية ، وطاقة فكرية إنسانية .

وعاد الإمام إلي باريس ، ولم يمكث فيها غير قليل حتي أغلقت مجلة العروة الوثقي ، وكلف جمال الدين الإمام محمد عبده بالسفر إلي السودان لإذكاء الثورة المهدية وتوجيهها والإفادة منها في تحرير مصر من الاحتلال .

وسافر الإمام سرًا إلي تونس ، ومنها إلي مصر خفية ، وأراد أن ييمم وجهه شطر السودان ،ولكن المهدي كان قد توفي في الحادي والعشرين من يونيو عام ١٨٨٥م ، وخلفه التعايشي ، الذي سلم للإنجليز في السودان ، فعدل الإمام عن غايته ، وسافر سرًا إلي بيروت ، وبقي أستاذه في باريس ، وفي بيروت ألف الإمام هو وتلميذ جمال الدين «ميرزا محمد باقر» جمعية التألف والتقريب ، للدعوة إلي الإسلام في جميع أنحاء العالم ، وتعريف الغرب بحقائق الإسلام وحقيقته ، والتعاون علي إزالة اضطهاد أوروبا للشرق والمسلمين .

وقد دعا محمد عبده كثيرًا من المستشرقين ورجال الدين في



أوروبا إلي الإيمان بالإسلام وأصوله ، وكتب إلي أحد القسس في بريطانيا يقول : «لا أظن يوما مر أو يمر علي الإنجليز يكون أسعد من ذلك اليوم الذي يؤمنون فيه بدين محمد» ، وكانت دعوة محمد عبده إلي التآخي بين الإسلام والمسيحية قائمة علي فكرة التوحيد الموجود في الإسلام ، والرجوع إلي الدين الحق ، ديننا الخالد الكريم .

وكذلك كان قيام هذه الجمعية تطبيقًا علميًا رائعًا لأفكار جمال الدين ونزعاته وتعاليمه التقدمية الهادفة ، وضرب محمد عبده بذلك أروع الأمثال لشباب العرب والمسلمين عامة . . حيث حمل عبء الإصلاح الديني ، وحمل مع ذلك رسالة الكفاح الوطني ، وكان أول زعيم مصري ينادي بالجلاء عن مصر والسودان بعد الاحتلال .

وفي أواخر عام ١٨٨٨م عاد الإمام إلي وطنه ، بعد أن ظل في المنفي ست سنوات ، واتخذ سكنًا له في شارع الشيخ ريحان بجوار عابدين ، وكان يقول لأصدقائه : اخترنا هذا المكان لنناطح عابدين وننازلها .

-٤-

وفي هذه المرحلة بدأ محمد عبده جهاده الفكري وإصلاحه الديني في وطنه ، مصر الخالدة .

وقد أخذ الشيخ دعوته إلي الإصلاح الديني من أستاذه جمال الدين ، الذي كان يعد المحرك الأول للشعور الديني في العصر الحديث ، وصاحب أعظم دعوة إلي التجديد الديني . . وجملة مذهب محمد عبده في الإصلاح الديني ، أن الإسلام دين بساطة ويسر ، يلائم الفطرة ؛ ويوافق العقل ، وأنه جاء بعقائد سليمة لا تعلو علي متناول الفكر الإنساني ، وجاءبأصول للفضيلة والخير تحث علي الصالحات ، وتوفر للإنسان كرامته ، وتبعثه للنشاط وطلب الكمال في نواحي الحياة ، ومن أجل ذلك دعا محمد عبده إلي تحرير الفكر من إسار التقليد ، وإلي اعتبار الدين صديقًا للعلم ، ونادي بأن الدين لا يقف في سبيل المدنية ، ولكنه يعمل علي تهذيبها وتنقيتها من أوضارها ؛ وستكون المدنية من أقوي أنصاره متي عرفته وعرفه أهلها ، وكان يؤمن بالوحدة الإسلامية ويدعو إليها علي بصيرة ، ويري أن إصلاح الأمة لايكون إلا بإصلاح عقولها بالعلم الصحيح وقلوبها بالدين الصحيح ، والسبيل إلي ذلك هو إحداث نهضة دينية وعلمية معًا، وكان يؤمن بأن الأزهر هو أخصب مكان لاستقبال هذه النهضة وازدهارها ، فالحياة إذا انبعثت فيه سارت مسرعة في جسم الأمة والعالم الإسلامي كافة .

وبمساعي الإمام صدرت عدة قوانين لاصلاح الأزهر ، وكان ممن بينها قانون بإنشاء مجلس إدارة لهذه الجامعة الإسلامية

الجليلة، واختيار الشيخ محمد عبده ، وعبد الكريم سليمان ، عضوين فيه ، وبذلك صار للإمام فيه حق الإشراف والتوجيه والاصلاح . ومن عاصر عهد الإمام في الأزهر شهد ذلك المعهد العتيق الهرم يبعث من جديد طاقة روحية جبارة يغذيها الشباب والأمل والطموح ، ورأي نهضة دينية وعقلية وعلمية لم يكن لها نظير من قبل ، نهضة تحتفظ بأحسن ما في معارف الأزهر وتقاليده الجامعية العريقة ، وتقتبس خير ما في الثقافات والمعارف الحديثة ، وربي محمد عبده جيلاً طموحًا إلي الفهم المستقل ، عزوفًا عن التقليد ، يشعر بكرامته الإنسانية ويلتمس المثل العليا في الحياة .

وكان في شتي المناصب والأعمال التي أسندت إليه - كعمله في الإفتاء وإشرافه علي المحاكم الشرعية وإصلاحها ، وعضويته في مجلس الأوقاف الأعلي وقيامه بوضع نظام جديد للمساجد ، وسوي ذلك - مثال رجل الدين الوفي لمبادئه ، الحريص علي أداء رسالته ، الساهر في العمل لخير الإسلام والمسلمين في كل مكان.

وأما جهاد الإمام الفكري ، فقد تجلي في عمله في القضاء ، وفي مجلس شوري القوانين الذي اختير عضوًا فيه ، وفي الجمعية الخيرية الإسلامية ، وجمعية احياء الكتب العربية ، وفي كل ميدان من ميادين الحياة ، بما ربي من أجيال ، وما نشأ من قادة ، وما وجه من تفكير ، وتخرج علي يديه الكثيرون من أئمة التفكير

المصري الحديث ، وفي مقدمتهم : سعد والهلباوي ومصطفي عبد الرازق والمنفلوطي والسيد رشيد رضا ، والشيخ الزنكلوني والمراغي والظواهري وعبد المجيد سليم وابراهيم حمروش وأحمد لطفي السيد وسواهم ، وكان في ذلك مطبقًا لآرائه أستاذه الأفغاني وتعاليمه الجليلة .

-٥-

وكان جمال الدين في عاصمة الخلافة العثمانية يتتبع كفاح تلميذه الإمام في مصر بفخر وإعجاب ؛ وفي صباح يوم الثلاثاء الخامس من شوال عام ١٣١٤ هـ - التاسع من مارس عام ١٨٩٧م ، توفي جمال الدين في الآستانة ، فبكته مصر ، وبكاه الإمام أحر بكاء ، وظل وفيًا لمبادئه ورسالته ، مكافحًا في سبيل إتمام البناء الذي بدأ أستاذه بوضع دعائمه ، ولم يشهد تاريخ الشرق الإسلامي ثائرًا مصلحًا من أبنائه وقادته ودعاة الإصلاح فيه مثل جمال الدين ، وتلميذه الإمام . يقول رينان في الأفغاني بعد أن لقيه في فرنسا عام ١٨٨٣م : لقد خيل إلي من حرية فكره ، وأنا أتحدث إليه أني أري وجهًا كوجه ابن سينا أو ابن رشد ، أو بعض أولئك العباقرة الخالدين الذين عملوا لتحرير الإنسانية من إسارها .

ومرت الأعوام بالشيخ الإمام بعد وفاة أستاذه ، وهو يزداد في مصر والعالم الإسلامي مجدًا وعظمة وجلالا ، يسيح في

العـالم ، فـيـزور أوروبا والآسـتـانـة والشـام وتونس والجـزائر والسـودان، ويتلهف المسلمون في كل مكان شـوقًا إلي رؤيـته ، وهو يبعث فيهم الحياة والقوة والأمل ، ويناضل استبداد عباس في مصر ويلقي من مكائده ما ينوء بالعصبة أولي القوة من الأبطال ، حتي كان عباس يقول عن الإمام : أنه يدخل علي كأنه فرعون ، ويبلغ ذلك الإمام فيقول : جزاه الله ، أنا فرعون أم هو ؟

ويكافح مع ذلك صلف كـرومـر ودهاءه وبطشـه ، ويمضي قدمًـا إلي غايته ، لا يخشي إلا خـالقه ، ولا يرقب في الحق الا ولا ذمة ، حتي يخر صريعًا ويلقي ربه شهيدًا في ساحة الجهاد ، في الثامن من جـمادي الأولي عام ١٣٢٣هـ - الحادي عـشر من يوليو عام ١٩٠٥ ، فتشيعه مصر ،ويبكيه العالم الإسلامي كافة .

وهكذا يموت الأستاذ الإمام بنفس العلة التي مات بها أستاذه جمال الدين ويقول النـاس : إنه مات مسمومًا بيد عـباس ، كما قالوا في جمال الدين : إنه مات مسمومًا بيد عبد الحميد .

-٦-

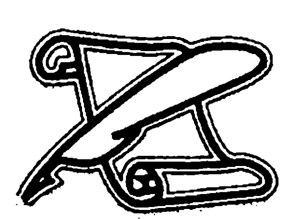
ومهمـا كان فقد جدد هذان الإمـامان بعملهما في السـياسة والتربـية والتعلـيم والإصلاح الديني شـباب الشـرق الإسلامي ، وأيقظا الشعوب الإسلامية الغافيـة ، وإن جنت عليهما السياسة ، فعاشا مشردين مضطهدين طول حـياتهما ، وكان الإمام يتجه إلي

أستـاذه في المحنة يقول به : أيها السـيد ، أري أن نترك السيـاسة ونذهب إلي مجهل من مجاهل الأرض لا يعرفنا فيه أحد ، نختار من أهله عشرة غـلمان أو أكثر من الأذكيـاء ؛ السليمي الفطرة ، فنربيهم علي منهجنا ونوجه وجوهم إلي مقصدنا ، فإذا أتيح لكل واحد منهم تربيـة عشرة آخـرين ، لا يمضي بضع سنين إلا ولدينا مائة قائد من قواد الجهاد فـي سبيل الإصلاح ، ومن أمثال هؤلاء يرجي الفـلاح . فيقـول له أستـاذه جمـال الدين : إنما أنت من المثبطين ، نحن قد شرعنا في العمل ، ولابد من المضي فيه .

جامعة الفسطاط

أولى الجامعات

فى مصر



دخلت مصر في الإسلام ، واستظلت بلوانه وحملت راية العروبة والإسلام لأول مرة منذ فتحها القائد العربي المسلم عمرو ابن العاص .

وبني عمرو عقب الفتح مدينة الفسطاط لتكون العاصمة الأولي عام ٢١هـ واتخذ الأماكن التي نزل بها جيشه معسكرًا عامًا، وبني المسجد وبني حوله مدينة الفسطاط ، التي توسطها المسجد الجامع ، وأخذ يرفع الظلم عن كاهل المصريين ويعاملهم بالعدل والإنصاف والرحمة ، وأكبر المصريون شريعة عمرو ولغته ودينه فدخلوا في الإسلام أفواجًا .

وكان عمرو بن العاص مع هذه الدنيا المقبلة ، والسعادة الغامرة ، والسلطة النافذة ، أسبق الناس إلي حق ، وأبعدهم عن باطل ، لم يعهد عليه أثناء ولايته علي مصر نقض لعهد ، ولا خفر لذمة ، ولا انتهاك لحرمة، وقد نهض بإدارة شئون مصر إدارة حازمة رشيدة ، دستورها مبادئ الإسلام ، وشعارها الحق والعدل والمساواة والحرية .



وأخذت الفسطاط تتسع وتزدهر ، وصـارت منذ إنشائها عام ٢١هـ : ٦٤٢م عاصـمة مـصر السيـاسية ، ومنارة الـدين واللغة العربية والمعرفة والثقافة، ومـقر العمران والحضارة والرخاء أجيالاً طوالاً .

وكان مسجد الفسطاط (أو مسجد عمرو بن العاص ، أو تاج الجوامع، أو الجامع العتيق أو مسجد الراية) هو أول مسجد قام في مصـر العربية ، وكان هـو بعد قليل جامعـة الفسطاط الإسلامـية الكبري .

وكانت المساجـد الكبري في العواصم الإسلامـية ، لا تلبث بعـد إنشائهـا بقليل ، أن تتحـول إلي جامـعات تغص بالعلـماء وحلقات العلم والدراسة والبحث .

ولقد ازدهرت الفـسطاط بتوالي الأيام ، وصـارت العاصـمة الحضارية والعلـمية والأدبية والاقتـصادية لمصر كلها خـلال أجيال عديدة ، وصارت من أكـثر الأمصار الإسلامية عـمرانًا ، ورخاء وعظمة .

وجلس الصحـابة والتابعون في مسـجد عمرو ، يتـصدرون الحلقات العلمـية ، ومجلس الـعلم ، وشجع ولاة مصـر العلماء علي نشر الثقافة العـربية في كل مكان من أرض مصر ، وأنشئت المساجـد وأصبحت حلقـاتها دورًا للثقـافة ، يتصـدرها المحدثون

والفقهاء والعلماء .

وأخذت مدينة الفسطاط تؤدي دورها الحضاري في تاريخ مصر والعالم الإسلامي ووفد عليها الشعراء من الجزيرة العربية كجميل وكثير ونصيب وأيمن بن خريم الأسدي وابن الرقيات ، وكان الفرزدق قد عزم علي زيارة الفسطاط ووالي مصر عبد العزيز ابن مروان (٦٥-٨٦هـ) لولا أن جاءه نعي الأمير ، ويصف الأصطخري في القرن الرابع الهجري الفسطاط بأنها مدينة مصر العظمي ، ويأنها في غاية العمران والخصب ، وبأن مبانيها قد تبلغ الواحدة منها ثماني طبقات . . وينوه كذلك ابن حوقل بأهميتها الحضارية ، ويقول عنها المقدسي (-٣٩٠هـ) : إن الفسطاط هي «عاصمة» مصر ، ومفخرة الإسلام ، ومتجر الأنام وهي أجل من مدينة دار السلام ، ويقول : إن حلقات (أي دروس) مسجدها الجامع ليس في عواصم الإسلام أكبر منها .

وقام مسجد الفسطاط بدور الجامعة الإسلامية الأولي في مصرأكثر من سبعة قرون ، وعاشت هذه الجامعة العلمية الكبري في ظلال ازدهار الفسطاط وعمرانها ورخائها .

وكان قيام الحلقات العلمية والأدبية في جامع الفسطاط ، بعد إنشائه بقليل ، رمزًا لحركة البناء والتجديد وطموح العقل الإسلامي المصري المتوثب دائبًا .

وأعتقد أن عبدالله بن عمرو بن العاص الصحابي الجليل ، وابن أمير مصر عمرو بن العاص ، كان هو المؤسس الأول لهذا الصرح الشامخ ، ولهذه الجامعة الإسلامية الأولي في مصر ، وكان عبدالله من أئمة الصحابة والمحدثين ، ولابد أن يكون قد صارت له حلقة علمية في جامع الفسطاط ، يتصدرها ليفيد الناس في دينهم ودنياهم ، من حيث يري الدكتور علي اليمني دردير في رسالته المخطوطة للدكتوراه والتي عنوانها «الحياة الأدبية والنقدية في الفسطاط ومسجدها الجامع إلي قيام الدولة الفاطمية» أن يزيد ابن حبيب الذي بعث به عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي إلي الفسطاط هو مؤسس مدرسة الفسطاط العلمية ، وهذه الرسالة القيمة جديرة بأن تتبني هيئة من هيئاتنا العلمية نشرها لأهميتها .

إن عبد الله بن عمرو بن العاص كان بمثابة الروح السباني للحلقات العلمية الجامعية في جامعة الفسطاط ،وقد أخذت هذه الحلقات تكبر وتنمو شيئًا فشيئًا ، وتتسع دائرتها ، وتفيد العقل الجديد فائدة جلي .

ويكون يزيد بن حبيب تاليا لعبدالله بن عمرو ابن العاص في ذلك المجال ، ويذكر الدكتور دردير نصا للسيوطي في كتابه «حسن المحاضرة -١/ ١٩٩» هو أن يزيد بن حبيب كان «أول من أظهر العلم بمصر ، وبين المسائل في الحرام والحلال وكان الناس قبله يتحدثون في الترغيب والترهيب والملاحم والفتن» وكان

الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز قد بعث به إلي مصر ، كما بعث كذلك بنافع مولي عبدالله بن عمر «المتوفي عام ١٢٠هـ» ليعلم أهلها السنن والقراءات ، وقد صار لنافع مدرسة علمية في القراءات في جامعة الفسطاط وكان من أعلامها الثقات في القراءات ، ثم تلاه عثمان بن سعيد «ورش» الذي يذكر ياقوت في معجم الأدباء أنه كان له فى المسجد مجلس عامر .

ومن مدرسة الحديث عطاء بن دينار الهذلي «المتوفي عام ١٢٠هـ» وهو بالطبع يعد امتداداً لفكر عبدالله بن عمرو بن العاص . ومن تلاميذه يزيد بن حبيب ابن لهيعة «٩٦-١٦٠هـ» والليث بن سعد «٩٤-١٧٥هـ» وعبدالله بن وهب «١٢٤-٢٠٠هـ» الذي تأثر بآراء استاذه الليث بن سعد بطريق مباشر ، وبآراء ابن حبيب بطريق غير مباشر .

وكان الإمام أحمد بن حنبل يقول عن «ابن لهيعة» : عنده الأصول وعندنا الفروع . . . كما كان يقول لطلابه في بغداد : إن بمصر - أي الفسطاط صحيفة في التفسير رواها علي بن طلحة الهاشمي عن ابن عباس ، لو رحل واحد منكم إلي مصر ليطلع عليها ما كان هذا كثيراً ، ولابن وهب كتاب «الجامع في الحديث» والليث ابن سعد هوأحد المجتهدين الإعلام وصاحب مذهب من المذاهب المشهورة وكتاب تلميذه ابن وهب «الجامع في الحديث» أقدم كتاب مصري مخطوط بدار الكتب المصرية ، وعليه ما يفيد

أن الكتاب قـري في مدينة أسنا عام ٢٧٦هـ كمـا ورد في «حسن المحاضرة» للسيوط «١/ ١٦٨» .

وهكذا ازدهرت حـركة جـامعـة الفسطاط «جـامع عمـرو» العلمية ، وزادت فيهـا مجالس العلم ، وحلقات العلماء ، زيادة كبـيرة ، وأم هذا المسجـد الجامع أو الجامـعي الكثيـر من العلماء الأعلام ، والأئـمة المجتـهدين ، ممن أفـادوا العالم الإسـلامي ، وأدوا له خدمات صادقة في مجال الثقافة والتعليم ، وفي مختلف علوم الشريعة والدين واللغة والأدب والعلوم الأخري .

وقد قصـد الكثير من الشعراء مصـر ، ووفدوا إلي الفسطاط وجلسوا في حلقات جامعتها الإسلامية الكبري . . أبو تمام الطائي «١٩٠-٢٣١هـ» تعلم في هذه الحلقـات ، وأبو نواس وفـد علي الخصـيب أمير مصـر ، وجلس في حلقات المسجد الجـامع وأفاد منها .

ولما وفـد الإمـام الشافـعي إلي مـصـر عـام ١٩٨هـ وأملي فيهامذهبه الجديد ، كان مسجـد عمرو أو جامعةالفسطاط ، مركز نشاطه العلمي الديني ، حيث صـارت له حلقة فيه ، وزاوية منه كان يدرس فيـها مذهبه ، ويدون آراءه ، وعلي يديه تخرج كـثير من العلماء الذين دونوا المذهب ، ونشروا علم أستاذهم، كالربيع بن سليـمـان المرادي «عـام ١٧٤-٢٧٠هـ» والبـويطي «٢٣١هـ» والربيع الجـيزي الذي ينسب إليه جـمع كتـاب الأم وترتيبـه بعد

البويطي «١٤٦ - ٢٢٦هـ» والحسين بن عبد السلام المعروف بالجمل الأكبر «١٧٠ - ٢٥٨هـ» وكذلك سعيد بن عفير .

وكان عبدالله بن طاهر أمير مصرر يجعل سعيد بن عفير ثالث عجائب مصر بعد الهرمين والنيل .

ومن جامع الفسطاط انتشر مذهب الشافعي علي أيدي تلاميذه ، ومن قبل كانت السيادة للمذهب المالكي الذي كان أول من أعلنه في مصر ونشره فيها عثمان بن الحكم الجذامي ، ومن شيوخ المالكية فيها إصبع بن الفرج ، كما كان أول محاولة لنشر المذهب الحنفي فيها علي يدي القاضي اسماعيل بن سميع الكندي، الذي ولاه العباسيون عام ١٦٤هـ قضاء مصر ، فعمل علي نشر مذهب أبي حنيفة فيها .

وكذلك نشر الحنابلة مذهبهم في أرجاء مصر . ومن علماء مسجد عمرو كذلك اسحاق بن الفرات تلميذ الليث بن سعد «توفي عام ٢٠٤هـ» وقال عنه الشافعي : ما رأيت بمصر أعلم منه باختلاف الناس ، وكذلك اسحاق بن بكر «٢١٨هـ» ، وكان يجلس في حلقة الليث ويفتي بقوله ، والطحاوي وإليه انتهت رياسة الأحناف في مصر «٢٣٩-٣٢١هـ» وبكار بن قتيبة من قضاة مصر الأحناف «٢١٠-٢٧٠هـ» .

وقامت في جامع عمرو حلقة تاريخية تصدرها محمد بن



اسحاق صاحب السيرة «-١٥١هـ» ، ثم عبد المطلب بن هشام راويته ، ومحمد بن أبي الليث ، وتتلمذ عليها المؤرخون المصريون مثل ابن عبد الحكم المصري مؤلف كتاب «فتوح مصر» «١٦٩-٢٥٦هـ» ، ووالده عبد الله بن الحكم «١٥٠-٢١٤هـ» ، والكندي ، وابن يونس «٢٨١-٣٤٧هـ» وعمار ابن وسيعة المصري «٢٨٩هـ» وابن زولاق المصري «٣٠٦-٣٨٧هـ» الذي ولد بالفسطاط .

ومن مدرسة اللغويين والنحويين الأدباء في جامعة الفسطاط : ابن ولاد «-٢٣٢هـ» شيخ العربية في مصر كما يقول السيوطي في كتابه حسن المحاضرة «١/٢٢٨» ، وأحمد بن يوسف بن الداية صاحب كتاب «المكافأة» وقد توفي بعد عام ٢٣٠هـ ، والحسن بن داود بن بابشاذ المصري النحوي المشهور «-٣٣٩هـ» ، وأبو جعفر النحاس «-٣٣٨هـ» والأدفوى النحوي المفسر «-٣٨٨هـ» . . . ويروي ياقوت في كتابه «معجم الأدباء» أن الطلاب المصريين في جامع عمرو سألوا ابن جرير الطبري «-٣١٠هـ» أن يملي عليهم شعر الطرماح ، وكانوا لا يعرفون شيئًا منه ، وكان ممن سأله في ذلك عبي بن سراج المصري فأجابهم إلي طلبهم ، وأخذ يمليه عليهم ويفسر غريبه «٦/٣٤٣ - معجم الأدباء» .

ومن العلماء الأجلاء أبو بكر بن الحداد «٢٦٥-٣٤٥هـ»

وكان كما يقول السيوطي في كتابه «حسن المحاضرة- ١/ ٢٦» يلقب بفقيه مصر وفصيحها وعابدها ، وكان يدرس في جامع عمرو .

وقد وفد علي مصر أبو العباس الناشئ الأكبر «-٢٩٣هـ» والقي آراءه في الشعر والنقد في مسجد عمرو .

وقد تصدر حلقات العلم في هذه الجامعة الكبيرة بعض الوزراء ، من مثل أحمد بن يحيي الوزير ، وابن سليمان التجيبي «١٧١-٢٥٠هـ» وكان له مجلس عام بجامع عمرو ، وقد صحب الشافعي حين وفد إلي مصر ولازم حلقته العلمية في هذه الجامعة «جامعة الفسطاط» ولازمه ، وأخذ الكثير عنه ، كما يقول السيوطي في كتابه «بغية الوعاة» - ص١٧٤ ، متخذا في ذلك سنن أستاذه الإمام الشافعي الذي كان يجلس في جامع عمرو يلقي فيه دروسه العلمية الحافلة حتي استأثرت به رحمة الله .

وكما كان أبو نواس من قبل «١٤٥-١٩٨هـ» يجلس في حلقة في جامعة الفسطاط ، ويتخذ له مجلسًا أدبيًا في المسجد الجامع ، ويلتف حوله الشعراء والأدباء والنقاد ، أثناء إقامته في مصر ، كان كذلك يفعل ابو الطيب المتنبي أثناء إقامته في الفسطاط «٣٤٦-٣٥٠هـ» ، ويجلس في حلقة خاصة في جامعة الفسطاط وحوله الشعراء والنقاد والأدباء يملي وينشد شعره لهم ، ويستمع لنقدهم ، ويجاويهم ويحاجونه ، وكان ممن أخذوا

ينقدون شعره : الوزير ابن حنزابة وزير كافور الأخشيدي «-٢٥٧هـ» لأن المتنبي أبي أن يمدحه ، وكذلك سيبويه المصري أبو بكر محمد بم موسي الصيرفي ، وسواهما . وكان هناك في حلقة مسجد الفسطاط لفيف من الشعراء يبدون إعجابهم الشديد بالمتنبي وشاعريته ، ومنهم عبدالله بن محمد بن أبي الجوع ، وصالح بن رشدين الكاتب ، وابن طباطبا العلوي المصري وسواهم .

وهكذا تعددت الحلقات وتنوعت في جامعة الفسطاط وتصدرها كبار العلماء والأدباء والمفكرين والنقاد ، وخرجت هذه الحلقات أجيالاً عظيمة من الباحثين والمتخصصين عامًا بعد عام ، مما أمد مصر بهالة من الجلال ، وجعلها تتصدر أمم العالم الإسلامي في حمل رسالة الدين والثقافة والحضارة ، حتي لقد سبقت بغداد في هذا المضمار .

واستمرت جامعة الفسطاط تؤدي دورها الحضاري وبفضل هذه الجامعة أصدر أمير مصر الأموي عبدالله بن عبد الملك أمرًا رسميًا عام ٨٧هـ بأن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة.

ولما انتقلت الدولة في مصر إلي الفاطميين من عام ٣٥٨هـ/٩٦٨م واستمرت في أيديهم قرنين كاملين أو يزيد ، حتي عام ٥٦٧هـ / ١١٧١م . شيد الفاطميون الأزهر ، وافتتح

في رمضان من عام ٣٦١هـ ، ولم يلبث أن أقيمت الحلقات العلمية فيه ، وصار جامعة إسلامية ثانية في مصر ، ثم أقام الحاكم الفاطمي دار الحكمة أو دار العلم الشهيرة عام ٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م ، والتي نافست الأزهر أيضًا في رسالته العلمية الجامعة ، ومع ذلك كله فقد كانت مكانة الفسطاط وجامعة الفسطاط قوية ضخمة ، لم تتأثر بالعواصف السياسية الهوج ، فاستمرت جامعة الفسطاط في مسارها العلمي ، فالحلقات العلمية والطلاب ، ظلت كما هي ، وظل التدريس في مسجد عمرو طويلا .

وظل مسجد الفسطاط الجامعي منتدي لأهل الفضل والأدب، وحمل لواء الثقافة الإسلامية العربية خافقًا عاليًا ، كما كانت الفسطاط مدينة حضارية ذات منزلة علمية وفكرية وأدبية واقتصادية رفيعة .

وإذا كان الجامع الأزهر أخذ ينافس المسجد الجامع الجامعي في الفسطاط في حلقاته العلمية ومجالسه الأدبية ، كما أخذت دار الحكمة تنافسهما معا ، حيث صارت مثوي للمجالس العلمية الكلامية والفلسفية ، فإن الفسطاط وقد فقد رعاية الدولة لم تضعف قوته ، ولم تلن قناته ، واحتفظت جامعة الفسطاط بأهميتها وبطابعها الديني والأدبي معا ، وفي فترات ضعف الخلافة الفاطمية كانت الفسطاط وحلقاتها العلمية تتفوق علي

القاهرة ، مما تحدث عنه الكثير ممن زاروا مصر من العلماء والرحالة المسلمين ، من مثل أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت «٤٥٩هـ» الذي وفد علي مصر ودرس الحركة الأدبية والفكرية فيها ، وكتب عنها رسالة بقي منها صفحات قليلة هي التي وصلتنا ، تحدث فيها ابن أبي الصلت عن بعض أدباء مصر وعلمائها ، ومجالسهم الفكرية والأدبية ، وكانت الفسطاط آنذاك أيضًا من أغني الأمصار الإسلامية ، وأكثرها رخاء . . . وقد وصفها القاضي محمد بن سلامة القضاعي «٤٥٤هـ» في القرن الخامس ووصف عمرانها وازدهارها .

وفي الفسطاط كانت سوق الكتب رائجة وكانت صناعة النسخ واسعة النطاق يعيش منها مئات من المشتغلين بالعلم ، وحلقات العلم تعقد في المساجد ، وكان جامع عمرو ، الذي يسمي تاج الجوامع ، مكان التحديث والتدريس منذ عهد الصحابة.

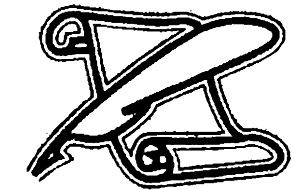
واستمرت هذه الحلقات العلمية كل يوم بلا انقطاع في جامع عمرو ، وكانت لا تقل عن بضع وأربعين حلقة في عام ٧٤٩هـ، كما يقول السيوطى فى «حسن المحاضرة» (١٣٦/٢) .

وأحرقت الفسطاط في عهد الحاكم ثم في عهد شاور عام ٥٦٤هـ ، وفي الحريق الثاني محيت هذه المدينة الإسلامية بما فيها من ذكريات ومكتبات ومدارس ومعاهد علمية . ومع ذلك أخذ

الناس يعمرون الفسطاط في عهد صلاح الدين الأيوبي ، ويسكنونها ، ويقيمون فيها ، وينظمون الحلقات العلمية والأدبية من جديد في مسجدها الجامع .

وفي القرن السابع وفد ابن سعيد الأندلسي إلي الفسطاط عام ٦٣٧هـ ، ووصفها في كتابه (المغرب في حلي المغرب) الذي أفرد منه فصلا كبيراً عن الفسطاط بعنوان «الاغتباط في حلي الفسطاط» وقد نشر في مصر ، تحدث فيه عن المدينة وأدبائها ، وشاعرها أبي الحسن الجزار (-٦٧٩هـ) وكانت الفسطاط قد استردت الكثير من بهائها السالف ، وأهميتها الاجتماعية القديمة ، وظل مسجد عمرو برغم الأحداث عامراً بحلقات العلم والدرس ، وإن كان لم يعد إلي شموخه القديم .

ولم يتخل المسجد الجامع - جامعة الفسطاط - عن دوره الحضاري والفكري والأدبي حتي بدايات القرن الثامن الهجري . . ثم سكت الصوت ، وخفت الضوء ، وحمل الأزهر وحده عبء الثقافة الإسلامية في مصر العربية ، وهكذا انتهي دور جامعة الفسطاط ، وأصبحت هذه الجامعة في ذمة التاريخ .

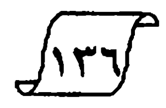


الأزهر أبو الجامعات في الشرق والغرب

هذا البناء الشامخ ، والمسجد العريق القائم في نهاية شارع الأزهر بالقاهرة ، والمجاور لميدان الحسين ، والذي رفع قبابه جوهر الصقلي ، قائد جيش فتح مصر في عهد المعز الفاطمي - هو جامعة الجامعات ، ومعهد العلم في عاصمة مصر ، قاهرة المعز الخالدة ، وهو حقًا قلعة حضارية في تاريخ مصر الإسلامي والعربي طوال ألف عام أو يزيد . . إنه الأزهر أبو الجامعات في الشرق والغرب .

وشيخ معاهد العلم في مختلف أرجاء العالم . وإذا كان مسجد القرويين قد أنشئ في فاس عام ٢٤٥هـ - ٨٥٩م ، فإنه لم يتحول إلي جامعة إلا في زمن متأخر ، بينما صار الجامع الأزهر جامعة إسلامية بعد إنشائه بسنوات ، وصار مقصد الطلاب والأساتذة من أنحاء الدنيا ، وقام برسالة ثقافية كبيرة طيلة ألف عام ، مما لم يحدث في تاريخ أية جامعة من الجامعات لا في الشرق ولا في الغرب . وكذلك الأمر فى مسجد عقبة يالقيروان لم تعقد فيه الحلقات العلمية إلا فى زمن متأخر جداً .

وكان إنشاء الأزهر وقيام الحلقات العلمية الجامعية بعد إنشائه



مباشرة وحتي اليوم ، معجزة المعجزات في تاريخ الثقافة الإسلامية.

الأزهر هو أبو الجامعات الدينية ، في عالم الإسلام ، وهو الذي يمدها بالتوجيه والخبرة ، وبالخطط العلمية المدروسة ، وبالمناهج والأساتذة ، وعلي نمطه قامت مختلف الجامعات الإسلامية الحديثة في أنحاء العالم الإسلامي ، وصار هو الصورة المشرقة لكل الجامعات وهو الذي يلخص تاريخ الحضارة الإسلامية كلها طوال ألف عام .

إنه روح هذه الحضارة ، والمعبر عنها والمترجم لثقافاتها ، وهو موئل العربية وملاذها الأمين ، منذ قيامه إلي اليوم .

وقد سمي الأزهر بهذا الاسم لأنه كان محاطًا بقصور زاهرة في رأي ، أو لأنه كان أكبر الجوامع علي الأطلاق رواء وجلالا وفخامة في رأي ، أو لأنه ينتسب إلي الفاطمية وإلي فاطمة الزهراء بنت رسول الله -صلي الله عليه وسلم- في رأي آخر ، أو للتفاؤل بما سيكون له من المكانة والجلال والازدهار العلمي في تاريخ الثقافة الإسلامية .

وقد شرع المعز الفاطمي منذ تولي الحكم في دولة الفاطميين في المغرب في بناء دولة واسعة ، وأمبراطورية ضخمة لآل البيت في وسط العالم الإسلامي ، ومن ثم امتد بصره إلي مصر ، وشرع في التمهيد لفتحها ، ونشط الدعاة الفاطميون في الدعوة

لآل البيت في أنحاء مصر كلها ، ثم عين قائده جوهرًا قائدًا لجيش الفتح ، فخرج من القيروان بجيش ضخم في ١٤ من ربيع الأول عام ٣٥٨هـ فبراير ٩٦٩م ، فاستولي علي الإسكندرية ، ثم واصل زحفه إلي الجيزة ، فدخلها في ١١ من شعبان عام ٣٥٨هـ ، أول يوليو ٩٦٩م ، وفي اليوم التالي دخل جوهر الفسطاط عاصمة مصر الإسلامية الأولي آنذاك .

ومكث جوهر في شمالي الفسطاط ثمانية أيام استراحت فيها جنوده بعد عبورهم النيل من الجيزة إلي الفسطاط وأخذ جوهر في وضع أساس عاصمة جديدة لمصر الفاطمية ، فوضع أساسها في يوم الثلاثاء ١٧ من شعبان ٣٥٨هـ - ٧ يوليو ٩٦٩م كما ورد في خطط المقريزي (جـ٢ ص٢٠٤) ، ووضع أساس القصر الفاطمي الكبير الشرقي في اليوم التالي ليكون مقر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله .

وفي يوم السبت ٢٤هـ جمادي الأولي عام ٣٥٩هـ - ١٢ من أبريل ٩٧٠م شرع القائد جوهر في بناء الجامع الأزهر إلي جانب القصر الكبير - الخطط جـ٢ ص٢٧٣ - وظل البناء عامين (٩٧٠-٩٧٢م) ، وتم البناء وأقيمت الصلاة فيه لأول مرة في السابع من رمضان عام ٣٦١هـ - ٢٢ من يونيو عام ٩٧٢م ولم يلبث أن صار هذا المسجد هو المسجد الرسمي لدولة الفاطميين ، وبعد تسعة أشهر من افتتاحه أخذ الناس يتلقون فيه عقائد المذهب

الفاطمي .

وكانوا يجتمعون كل يوم جمعة فيما بين صلاة الظهر وصلاة العصر ، وعلي رأسهم الوزير أبو يعقوب قاضي الخندق (خطط المقريزي جـ٥ ص٤٩) . . . ومنذ عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمي بنيت الأروقة حول الأزهر ، وصارت جزءاً منه ، وفرشت بما يلزم لها من الفرش ، وصارت مساكن يقيم بها الطلاب ، وفي مقدمتهم الطلاب الوافدون علي الأزهر من أنحاء العالم الإسلامي ومن شتي مدن مصر الفاطمية .

وكان نظام الحلقات الذي كان متبعًا في تلك الحقبة من الزمن هو النظام الوحيد للدراسة في الجامع الأزهر ، وهو أساس الحياة العلمية والثقافية في مصر . وكان لكل مذهب من المذاهب الأربعة عمود معين من عمد الجامع لا يجلس فيه إلا أهل هذا المذهب ، وكان شيخ المذهب حريصًا علي أن تكون حلقته العلمية بجوار هذا العمود ، وكان من عادته في أثناء إلقاء الدروس أن يجلس علي الأرض بجوار هذا العمود مستقبلاً القبلة ، ثم صار أخيراً يجلس علي كرسي من الخشب أو الجريد ، وصارت تلك الكراسي من أخص امتيازات كبار العلماء فيه ، ومن ذلك أخذت الجامعات نظام الأساتذة ذوي الكراسي ، وكان الطلبة يجلسون حول أستاذهم علي هيئة حلقة ولكل طالب مكان في الحلقة لا يتعداه .

وكان في الحلقة طالب من أنبه طلابهـا يكلفه الأستاذ باعادة درسه علي زمـلائه وبقراءة الموضوع العلمي للدرس في مـختلف مـصادره ، وسـمي هذا الطالب مـعـيدًا ، وعن الأزهر أخـذت الجامعات نظام المعيـدين أيضًا . وكانت طريقة التعليم إذ ذاك هي أن يبدأ الشـيخ درسه بالبسـملة والحمد لله والصـلاة علي رسول اللهﷺ، ثم يلخص موضوع درسه ، ثم يقرأ النصوص التي كتبت حوله في مخـتلف المصادر ، ويقوم الطلاب بسـؤال أستاذهم في كل ما غمض عليهم ، ويستمر الحوار والمناقشة والأسئلة والإجابة عنها طوال الدرس بين الأستاذ وطلبته .

ولا ننسي أنه بعـد انتهاء الدولة الفـاطميـة ، وتولي صلاح الدين الأيوبي حكم مصر عام ٥٦٧هـ ، أفتـاه قاضيه صدر الدين بن عبـد الملك بن درباس الشافعي بامـتناع إقامة خـطبتين في بلد واحد كما هو مذهب الإمام الشـافعي فأبطل صلاح الدين الخطبة والتدريس في الجـامع الأزهر ، وأقر الخطبة في الجامع الحـاكمي بحجة أنه أوسع ، ثم أعيدت إلي الأزهر الدراسة ، وكان أول ما درس به من مذاهب أهل السنة مذهب الإمـام الشافعي رضي الله عنه ، ثم درست المذاهب الأخري علي التتابع ، فلما تولي الملك الظاهر ببـيرس حكم مصـر عام ٦٥٨هـ لم يلبث أن أعـاد الخطبة إلي الجامع الأزهر عام ٦٦٥هـ - ١٢٦٦-١٢٦٧م .

وزاد بيـبرس في بناء الجـامع وشجع العلم والتـعليم فـيه ،

وأقام الأمير عز الدين أيدمر الحلي احتفالا رسميًا عظيمًا في الجامع الأزهر ، ابتهاجًا بعودة الخطبة إليه ، كما أقام احتفالاً عظيمًا آخر في داره حضره رجال الدولة وقادتها ، وكان هذا الأمير يجاور الأزهر بسكناه ، وتبرع له بمبلغ كبير من ماله الخاص ، وجمع له الكثير من التبرعات من الدولة ومن الأمراء ، وأخذ في ترميم مبانيه ، وفي عمارته .

ولقد لقي الأزهر من عناية الشعب الشئ الكثير فعاد إلي حلقاته العلمية الازدهار والجلال ، وبخاصة بعد أن دمر المغول في غزواتهم كل معاهد العلم في العالم الإسلامي ، وبعد أن قضي الأسبانيون علي المدارس الإسلامية في الأندلس ، ولم يبق في العالم الإسلامي علي رسالة العلم والثقافة وبناء الحضارة غير الأزهر الشريف .

ولما فتح سليم الأول العثماني مصر ، أخذ يظهر التودد إلي العلماء، والزعامة للأزهر ، ويكثر من زيارته والصلاة فيه ، وأمر بتلاوة القرآن به ، وتصدق علي فقراء طلابه .

وفي عام ١٠٠٤هـ - ١٥٩٥م جدد الأزهر والي مصر العثماني الشريف محمد باشا في عهد السلطان العثماني محمد الثالث ، ورتب لطلبته الفقراء طعامًا يجهز لهم كل يوم ، فكان ذلك حافزًا كبيرًا علي زيادة الاقبال عليه .

ولم يكن للأزهر قانون معين ، حتي عام ١٢٨٧هـ-١٨٧٢م ، ففي هذا العام وفي عهد شيخه الشيخ محمد العباسي وضع قانون للتدريس في الأزهر صدر به مرسوم خديوي بتاريخ ٢٢ من ذي القعدة عام ١٢٨٧هـ - ٣ فبراير ١٨٧٢م - نص فيه علي يلي :

١- أن يكون الحصول علي شهادة العالمية بامتحان يجري أمام لجنة من العلماء يختارهم شيخ الجامع .

٢- أن يقسم العلماء إلي درجات ثلاث : أولي وثانية وثالثة.

٣- أن تكون العلوم التي يمتحن فيها الطلاب هي : الفقه - الأصول - التوحيد - الحديث - التفسير - النحو - الصرف - البلاغة - المنطق .

ولم يكن يسمح بدخول الامتحان إلا لستة من الطلاب ، فإذا ازداد العدد يرجح منهم من امتاز بالشهرة أو بكبر السن .

وفي عام ١٣١٢هـ - ١٨٩٥م في عهد الخديو عباس الثاني وضع قانون جديد للأزهر ألف بمقتضاه مجلس لإدارة الأزهر من أكابر شيوخه الممثلين للمذاهب الأربعة ، ومن ممثل الحكومة .

ولا ننسي أن أقدم أساتذة الأزهر كان هو القاضي أبو الحسن علي بن النعمان (ت ٣٧٤هـ) فهو أول أستاذ ألقي درسًا في

الأزهر - ثم تلاه أخوه القاضي محمد بن النعمان (ت٣٨٩هـ : ٩٩٩م) . ثم ابنه الحسين بن النعمان قاضي الحاكم بأمر الله الفاطمي .

ومن أساتذة الأزهر أبو عبد الله القضاعي الفقيه والمؤرخ (٤٤٤هـ - ١٠٦٢م) وكان هو سفير المستنصر بالله الفاطمي إلي قيصرة القسطنطينية «تيودورا» لعقد صلح بين مصر والأمبراطورية الرومانية الشرقية ، ومن كتبه «المختار في ذكر الخطط والآثار» .

ومن الأساتذة كذلك الأمير المختار عز الملك محمد المشهور بالمسبحي ـ ٤٢٠هـ : ١٠٢٩م) وهو من أقطاب العلماء ومشهوريهم وله كتاب بعنوان «أخبار مصر وفضائلها» .

ومنهم كذلك الشاطبي (٥٣٨ - ٥٩٠هـ : ١١٩٤م) إمام القراءات في عصره .

وممن قام بالتدريس في الأزهر المؤرخ عبد اللطيف البغدادي (ت٦٢٩هـ) .

وقد وفد علي مصر عام ٥٨٩هـ - ١١٩٣م ، وتولي التدريس بالأزهر أعوامًا عدة في مواد الكلام والبيان والمنطق ، كما ألقي بعض دروسه الطبية في حلقات خاصة .

وكذلك الشاعر الشيخ الصوفي الكبير شرف الدين عمر بن الفارض (٦٣٢هـ- ١٢٣٤م) ، وابن خلكان شمس الدين

(٦٨٠هـ- ١٢٨١م) الذي وفد علي القاهرة عام (٦٣٧ هـ- ١٢٣٩م) .

وكذلك ابن هشام إمام العربية في مصر (٦٤٦هـ) ، وشيخ المؤرخين ابن خلدون (٨٠٨هـ - ١٤٠٦م) . ولما قدم ابن بطوطة إلي مصر عام (٧٢٦هـ - ١٣٢٥م) زار الأزهر ، وتعرف بعلمائه وذكر بعضهم ، ومنهم : قوام الدين الكرماني - شرف الدين الزواوي المالكي - شمس الدين الأصبهاني (راجع الرحلة لابن بطوطة ص٢٥) .

وكذلك ممن درسوا في الأزهر ابن حبان الغرناطي العالم اللغوي المشهور ، حيث كان يلقي دروسه فيه .

وكذلك المؤرخ المشهور تقي الدين المقريزي .

ومنذ أواخر القرن الثامن قلما نجد شيخًا مشهورًا أو أستاذًا كبيرًا ، لم يأخذ مجلسه في الأزهر ، وبحسبنا أن ابن خلدون شيخ المؤرخين اتخذ حلقة علمية له فيه ، وكان تدريسه في الأزهر وجلوسه في حلقاته العلمية ، حدثًا علميًا كبيرًا .

وممن درسوا فيه كذلك : تلميذ ابن خلدون المشهور العلامة المغربي محمد تقي الدين الفاسي (ت٨٤٢ هـ) .

ومن شيوخه كذلك : الإمام شهاب الدين بن عبد الحق السنباطي (٩٥٠هـ : ١٥٤٣م) ، والشيخ الخرشي المالكي شيخ

الجامع الأزهر (١١٠١هـ : ١٦٨٩م) ، والشيخ إبراهيم بن محمد البرماوي (١١٠٦هـ : ١٦٩٥م) وكان من شيوخ الأزهر الشريف ، والشيخ حسن بن علي الجبرتي (١١١٦هـ : ١٧٠٤م) وهو جد المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتي .

ومنهم كذلك العلامة المغربي شهاب الدين المقري (١٠٤١هـ: ١٦٣٣م) وقد وفد علي مصر عام (١٠٢٧هـ " : ١٦١٨م) ومنذ ذلك التاريخ لازم التدريس في الجامع الأزهر ، واقبل علي حلقته العلمية الأساتذة والطلاب .

ومنهم كذلك الشيخ الإمام الصوفي عبد الغني النابلسي الذي زار مصر عام ١١٠٥هـ والذي تصدر حلقة علمية من حلقاته ، وذلك مرتضي الزبيدي اليمني صاحب تاج العروس في شرح القاموس ، وكان من كبار العلماء في الحديث واللغة والأدب ، وكتابة «تاج العروس من جواهر القاموس» مشهور ، وقد ترجم له تلميذه الجبرتي في تاريخه (٢ص ٢٠٨ - ٢٢٠عجائب الآثار للجبرتي) .

ومن أعلام شيوخه ومدرسيه الإمام محمد عبده (١٩٠٥م) مفتي مصر ، ومصلح الأزهر ، ومنشئ مكتبته ، وواضع أهم قوانينه ، وكان يلقي دروسه في التفسير فيه في الرواق العباسي .

وممن تخرجوا فيه أو درسوا فيه طائفة كبيرة من أعلام نهضة

مصر ومنهم : الزعيم أحمد عرابي ، وسعد زغلول ، وعبد الله فكري باشا (١٨٨٩م) ، والمنفلوطي (١٩٢٤م) ، والشيخ محمد شاكر (١٩٣٩م) ، والشيخ عبد العزيز البشري (١٩٤٣م) ، والشيخ أحمد الزين ، ود. زكي مبارك (١٩٥٢) ، وطه حسين ، وأحمد حسن الزيات ، وغيرهم ، ونافع الجوهري الخفاجي (١٨٣٩ - ١٩١٢) .

ومن أعلام المتخرجين فيه كذلك : الشيخ عبد الهادي نجا الإبياري (١٨٨٨م) - والشيخ حسين المرصفي (١٨٨٩م) ، والشيخ حمزة فتح الله (١٩١٨م) والشيخ سيد المرصفي (١٩٣١)، وغيرهم .

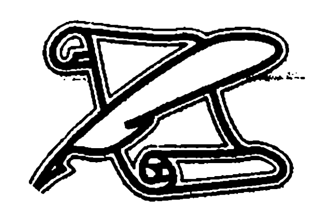
وقد تولي مشيخة الجامع الأزهر منذ العصر العثماني إلي اليوم تسعة وأربعون شسيخًا ، أولهم الشيخ محمد بن عبدالله الخرشي المالكي المتوفي في ١٧ من ذي الحجة عام ١١٠١هـ .

ومنهم الشيخ البرماوي (١١٠٦هـ) والنشرتي (١١٢٠هـ) ، والشيخ عبدالله الشبراوي إمام الصوفية في عصره (١٠٩٢ - ١١٧١هـ) ومنهم الشيخ عبد الله الشرقاوي الشافعي (١١٥٠- ١٢٢٧هـ : ١٧٣٧ - ١٨١٢م) والشيخ حسن العطار (١٢٥٠هـ)، والشيخ مصطفي العروسي ، والشيخ محمد العباسي المهدي ، والشيخ محمد الانبابي ، والشيخ حسونه النواوي ، والشيخ عبدالرحمن النواوي ، والشيخ سليم البشري

المتوفي في ١٧ من أكتوبر عام ١٩١٧م ، والشيخ أبو الفضل الجيزاوي ثم الشيخ المراغي ، والشيخ الأحمدي الظواهري ، والشيخ المراغي للمرة الثانية حتي توفي عام ١٩٤٥ ، ثم الشيخ مصطفي عبد الرازق (١٩٤٨) ، فالشيخ مأمون الشناوي ، فالشيخ إبراهيم حمروش ، فالشيخ عبد المجيد سليم ، فالشيخ محمد الخضر حسين ، فالشيخ عبد الرحمن تاج ، فالشيخ محمود شلتوت ، فالشيخ حسن مأمون ، فالشيخ محمد الفحام، فالشيخ عبد الحليم محمود ، فالشيخ محمد عبد الرحمن بيصار فالشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخه السابق ، فالشيخ الطنطاوي شيخه الحالي .

ولا ننسي ثورات الأزهر الوطنية ، ثورة الشيخ الدردير التي وضعت أول ميثاق لحقوق الإنسان ، وثورة الشيخ عبدالله الشرقاوي التي ألزمت الحكام المماليك بالعدالة في معاملة الشعب، ثم ثورة عرابي ، وثورة عام ١٩١٩ ، وهما اللتان أيدهما الأزهر وشارك فيهما مشاركة فعالة . . ولا ننسي كذلك ثورة القاهرة الأولي والثانية التي قام بها الأزهر من أجل تحرير مصر من الاحتلال الفرنسي .

وبعد ، فهذا هو الأزهر ، وهذا هو تاريخه الحافل ، في بناء الثقافة والفكر والحضارة في مصر الإسلامية ، بل في العالم الإسلامي كافة . .



الإعجاز وقضية الأدب

من عبقرية الإلهام عند افلاطون . . . إلى عبقرية المقدرة الفنية عند ارسطو يبدأ الشاعر عمله الفنى ، ومن الانفعال بالجمال. وعمق التصور للفكرة ، وقوة المقدرة اللغوية ، وسعة القراءة للتراث يبدأ الأديب ، ومن مجموع العلاقات بين الألفاظ فى النص يتكون الاسلوب كما يقول عبد القاهر الجرجانى ، ومن الإهتمام بالحقيقة الجمالية عند كروتشيه ممثلة فى جماليات الشكل ووحدة العمل الأدبى يبدأ النقد ، ويدور الخلاف بين الكلاسيكيين الذين يرفعون من شأن اللغة ، والرومانسيين الذين يهتمون بالمعنى ويقدمونه على اللفظ ، ودعاة مذهب الفن للفن الذين يحررون النص الأدبى من كل قيود المضمون مادام النص يغذى فينا حاسة الجمال ، ودعاة الرمزية الذين لا يهتمون إلا بما توحيه الألفاظ والصور من رموز ومجازات ،دعاة المضمون الاجتماعي يعنون بالمضمون الجدلى . . . والواقعيين ومن بينهم سارتر وغيره . . . والرومانسيون عندما يرون ضرورة ابانة العمل الأدبى عن شخصية كاتبه وعن صدق عواطفه يصيبون كل الصواب ، لانهم يدركون قيمة وحدة العمل الأدبى وتطلبق الشكل والمضمون ، وأكد «اليوت » ضرورة التعاون الوثيق بين الشكل والمضمون مما ذهب

اليه من قبل مؤلف دلائل الاعجاز واسرار البلاغة عبد القاهر.
وجماليات الشكل كانت موضع عناية النقاد العرب ، فأساس البلاغة عند الجاحظ يكمن فى النظم ، وعند أبى المعتز يكمن فى البديع ، وعند الأمدى فى الإلتزام بعمود الشعر ، والذوق هو حارس هذه الجماليات والمدافع عنها ، ويقف عبد القاهر موقف المدافع عن ضرورة الارتباط بين اللفظ والمعنى فى العمل الأدبى ، ويجعل البلاغة كامنة فى سحر هذا الإرتباط .

-٢-

وعندما نقف أمام كتاب الله نجد العمل الأدبى إعجازا ونجد الصورة فوق المقدرة اللغوية والأدبية وفوق كل جماليات الشكل التى احصاها ابن المعتز ، وجماليات المضمون التى احصاها قدامة، ونجد المتناول لكتاب الله حائراً بين مختلف مذاهب الأدب والنقد ومناهج التفسير والمفسرين . . وهكذا رأينا إمام الدعاة وشيخ مفسرى كتاب الله فى عصرنا يقف موقفاً معتدلاً بين كل هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء . وبذوق الأديب ، وإلهام الشاعر ، وفطنة المفكر ، تناول الشعراوى بلاغة القرآن الكريم مفسراً وشارحاً ومحللاً لمعجزته البيانية الكبرى ومتنقلاً بين أصحاب منهج التفسير الأدبى البلاغى كالزمخشرى ، والتفسير الفقهى كالقرطبى وشلتوت ، والتفسير الموضوعى كابن كثير والسيوطى وفريد وجدى وشوقى ضيف ومحمد السعدى فرهود ، والشيخ

مخلوف والتفسير الموسوعى كالطبرى والإمام محمد عبده ورشسد رضا وخفاجى والتفسير العلمى كالشيخ طنطاوى جوهرى وكذلك الغزالى رالسيوطى ، وسواهم .

،التفسير العلمى يرفضه الشاطبى وكثير من العلماء ، مع تأكيدهم عدم وجود تناقض بين حقائق القرأن وحقائق العلم ، ومن بين هؤلاء شلتوت والشرباصى والذهبى وفرهود وفريد وجدى ، وخفاجى ، فكل ماتوصل إليه العلم عن طريق البحث والدراسة كشف عنه القرآن من قبل عن طريق الوحى الالهى . . وقد وقف د. محمد جمال الفندى أمام قول الله تعالى عز وجل «والسقف المرفوع » (٥- الطور) موقف المتأمل المتصوف لجلال الفكر وعظمة المدلول وعمق العلم (مجلة الأزهر ١٩٨٤) .

وهناك منهج أصحاب التفسير البيانى الذى قرره أمين الخولى ودافعت عنه الدكتورة بنت الشاطئ ، ودار حوله الدكتور محمد عبد الله دراز ومحمد المبارك وغيرهما ، والشعراوى يقف من كل هؤلاء موقف الوسط موجهاً عنايته إلى الإعجاز اللغوى فى كتاب الله عز وجل وأساس منهجه عو الذوق ، وذوق الشيخ من أصفى الأذواق فهماً لأسرار بلاغة كتاب الله وإعجاز نظمه وجلال ما يوحى به هذا النظم من معان وأسرار ، وقد أجاد الشيخ الشعراوى ايما اجادة فى تحليل الايات القرآنية ، وتفسير معانيها ، وشرح غاياتها ومراميها ، وكأنما كان الشعراوى يشرح لنا منهجه

فى التـفسـير عندمـا قال فى كلمـة نشرت فى الأهرام (عـدد ٦ أكتوبر ١٩٩٥) « اتجـه فى قصائدى إلى المعنى المباشـر من أقصر طريق .

أن الالتفات إلى جوهر قضية الأدب عند الشعراوى هو نفس الالتفات إلى جوهر قضية الإعجـاز وقضيته فى كتاب الله الحكيم وفهم أسراره وبلاغته .

انتهى الكتاب

فهرس الكتاب

صدرت الكتب الآتية للمؤلف :

١ - أبو الفتح الأسكندرى بطل مقامات البديع - وشخصيته المجهولة.

٢ - مدارس الشعر الحديث .

٣ - موقف النقاد من الشعر الجاهلى

٤ - كيف تكتب بحثا جامعياً - بالإشتراك مع د. شرف

٥ - النحو لرجال الإعلام - بالإشتراك مع د. شرف

وصدرت الكتب الآتية للناقد السحرتى

١ - الأصالة الأدبية

٢ - الفن الأدبى